

والدي

آية الله العظمى الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي (قدس سره)

مقتطفات من السيرة الذاتية للإمام السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (رحمه الله)
بمناسبة الذكرى السنوية الأربعين لرحيله

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين:

السيد مهدي الحسيني الشيرازي الحائري ابن السيد حبيب الله

ولد في مدينة كربلاء المقدسة سنة ١٣٠٤ هـ، وتوفي فيها في ٢٨ شعبان ١٣٨٠ هـ، توفي والد المرحوم الميرزا وهو لا يزال صغيراً فتربى برعاية أمه وأخيه الأكبر السيد عبد الله ولقد تلقى دراسته الأولى في مدينة كربلاء حيث درس العلوم الأولية من النحو والصرف والحساب وما إليها، ثم انتقل إلى مدينة سامراء واشتغل بالبحث والدرس والتدريس هناك مدة طويلة من الزمن، ثم سافر إلى الكاظمية ومكث هناك مشغولاً بالبحث والدرس ما يقارب العامين، ثم سافر إلى مدينة كربلاء وبقي مدة قصيرة، وانتقل بعدها إلى النجف الأشرف وبقي هناك ما يقارب عشرين سنة، بعد ذلك انتقل إلى مدينة كربلاء وبقي فيها إلى حين وفاته.

أساتذته: تتلمذ على الشيخ محمد تقي الشيرازي، والميرزا علي آغا الشيرازي وآغا رضا الهمداني صاحب (مصباح الفقيه)، والسيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي صاحب (العروة الوثقى)، والشيخ محمد حسين النائيني، والسيد حسين القمي وغيرهم.. ولقد حضر البحث (الجماعي) للسيد حسين القمي في مدينة كربلاء المقدسة، وكان البحث يضم جمعاً غفيراً من العلماء كالسيد محمد هادي الميلاني والحاج الشيخ محمد رضا الاصفهاني والسيد زين العابدين الكاشاني والشيخ يوسف الخراساني وغيرهم، وبعد وفاة السيد القمي استقل بالبحث والتدريس.

مرجعته: تولى المرجعية بعد وفاة آية الله العظمى السيد حسين القمي (قدس سره) عام ١٣٦٦ هـ، فأخذت مرجعته بالتوسع والانتشار، وكان المرشح للمرجعية العليا بعد الإمام السيد حسين البروجردي (قدس سره) إلا أن الأجل عاجله قبل ذلك فتوفي في ٢٨ شعبان عام ١٣٨٠ هـ.

جهاده: اشترك في الأحداث التالية:

ثورة العشرين الشهيرة، نهضة آية الله القمي (رحمه الله) حيث سافر لأجل إرجاع الأمور الدينية إلى نصابها، قام بالفتوى ضد الشيوعية التي أرادت غزو العراق في السنوات الأخيرة، أوقد أول شعلة الكفاح بإقامة المهرجان العالمي السنوي بمناسبة ميلاد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في مدينة كربلاء المقدسة ثم تبعته

مدينة النجف الأشرف والحلة وبغداد وسامراء وغيرها.
تلامذته: الأعلام الكرباسي ولده السيد محمد الشيرازي والشيخ عبد الرحيم القمي والسيد مرتضى الطباطبائي والشيخ محمد الكرباسي وغيرهم.
أولاده: ستة أبناء هم: آية الله السيد محمد الشيرازي، والعلامة الكبير السيد الشهيد حسن، والعلامتين السيد صادق والسيد مجتبی، وولدان آخران توفيا السيد علي والسيد حسين، وسبع بنات.

مؤلفاته:

- ١- شرح لم يكتمل على العروة الوثقى.
- ٢- رسائل في مباحث أصولية.
- ٣- رسالة في التجويد.
- ٤- رسالة حول فقه الإمام الرضا (عليه السلام).
- ٥- كشكول في مختلف العلوم.
- ٦- الدعوات المجربيات.
- ٧- هدية المستعين في أقسام الصلوات المندوبة.
- ٨- رسالة في الجفر.
- ٩- أجوبة المسائل الاستدلالية.
- أما ما برز من آثاره إلى الطبع:
- ١٠- ذخيرة العباد.
- ١١- ذخيرة الصلحاء.
- ١٢- الوجيزة.
- ١٣- تعليقة على العروة الوثقى.
- ١٤- تعليقة على وسيلة السيد أبو الحسن الأصفهاني.
- ١٥- بداية الأحكام (١).

عالم البرزخ

نقل السيد الوالد (رحمه الله) أنه كان في مدينة سامراء مريضاً مبتلياً بمرض الملاريا؛ فاشتد عليه الداء بحيث لا تنفعه الأدوية، فجاء طبيب إلى مدينة سامراء وراجعته فقال إن علاجه الوحيد هو أن تلدغه عقربتان

١- أعيان الشيعة: المجلد العاشر، ص ١٤٦ و ص ١٤٧ مطبوع عام ١٤٠٣ هـ.

على يديه، وكان الوقت شتاءً فلم يكن في ذلك الوقت عقارب إطلاقاً، فقال رجل: إني آتيكم بالعقرب بعد قليل، فقالوا: من أين؟ قال: أعرف من أين، فذهب وبعد ساعات عاد إليهم بقارورة مملوءة عقارب، فتعجب الكل من هذا الموقف وسألوه: من أين جئت بهذه العقارب؟ قال: إني سمعت الوعاظ يقولون إن قبر الفساق تمتلأ بالثعابين أو العقارب، فقد مات قبل يوم شخص فاسق فدفن في محل خاص من المقبرة وذهبت إلى قبره وثقبتة ثقبته ووضعت فوهة القارورة على تلك الثقبية مباشرة فخرجت هذه العقارب وجئت بها إليكم.

أقول: إن امتلاء القبر بالعقارب أو الثعابين هو أمر معنوي، يعني العقارب والثعابين المرتبطة بعالم البرزخ، لكن أحياناً يُظهر الله سبحانه شيئاً منها للعيان حتى يصدق في هذا العالم أيضاً، والقصص المشابهة لهذه الحادثة كثيرة.

ويروي التاريخ أن جماعة كانوا عازمين للحج وقرب مكة المكرمة مات أحدهم فغسلوه وحنطوه وكفنوه وصلوا عليه ثم أحضروا حفيرة فوجدوا أنها ممتلئة بالثعابين فتعجبوا من ذلك تعجباً شديداً لأن المكان ليس من أماكن تواجد الثعابين، لكنهم اضطروا أن يحفروا حفيرة ثانية فوجدوها كذلك ممتلئة بالثعابين فازداد تعجبهم، وحفروا حفرة ثالثة ورأوا أن الحفرة الثالثة كالأوليين ممتلئة بالثعابين، فلم يقبروا الميت وذهبوا به إلى ابن عباس، وكان ابن عباس في ذلك الوقت في مكة فعرضوا عليه القصة، فقال: ماذا كان عمل صاحبكم؟ قالوا له: إنه تاجر، فسألهم: وهل كان يراي؟ قالوا: نعم كان يراي، قال: لابد وأن يمتلئ قبره ثعابين في عالم البرزخ وقد أراكم الله ذلك، ولو حفرتم له ألف قبر لكان كل قبر ممتلئاً بالثعابين، فرجعوا ودفنوا ذلك الميت في تلك الحفرة على الثعابين الممتلئة فيها.

وهكذا ما ورد عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حيث سنل عن رجل دفنوه فادعى عبده أنه كان يلوط به، فأرسل عليّ من نبش القبر فلم يجدوا جثة في القبر، فقال علي (عليه السلام): (إن في الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله) أن اللاطي لا يوضع في قبره وإنما يلتحق بجهنم)، وكلام هذا العبد دليل على صدقه.

أقول: ذهب جماعة إلى أن آخر آية نزلت في القرآن الكريم هو قوله سبحانه: ((واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)) (١) حتى يكون الإنسان على استعداد كامل للمحاكمة الإلهية إن خيراً فخير وإن شراً فشر، فإنه يجازى العمل بمثله، والمثل إنما يكون بتجسيم الأعمال وإقياً كما هو المشهور.

((فوجدوا ما عملوا حاضراً))

نقل الوالد (رحمه الله): أنه كان في مدينة النجف الأشرف تاجراً يقرأ المجالس الحسينية خلال الأيام العشر الأولى من شهر المحرم الحرام، وفي ليلة العاشر يطعم الناس، وجاء مرة يوم التاسع إلى مدينة كربلاء المقدسة للزيارة؛ فأوصى أولاده أن يعملوا كما كان يعمل من الإطعام العام، وعين لهم الأشياء المحتاج إليها في الإطعام من الأرز والسمن ولحم الضأن وما أشبهه، وفي تلك ليلة رأى الإمام الحسين (عليه السلام) في المنام وكان (عليه السلام) جالساً في إيوانه المقدس في الصحن الشريف وملك يكتب والإمام (عليه السلام) يمضي على ذلك

كل ما صرف لأجله وفي محبته حتى وصل الأمر إلى هذا التاجر، فسجلوا له كم من الأرز وكم من السمن وكم من لحم الضأن وكم من لحم البقر فتعجب التاجر حيث أنه لم يكن في برنامجه لحم البقر. ولما رجع إلى النجف الأشرف سأل أولاده عما فعلوه فبينوا له التفاصيل كما قاله الإمام الحسين (عليه السلام) في المنام لكنهم لم يذكروا شيئاً عن لحم البقر، فقال: إنكم طبختم مقداراً من لحم البقر، قالوا: كلا ومن قال ذلك؟! قال: الإمام الحسين (عليه السلام) أخبرني، ونقل لهم القصة، عند ذلك أقروا وقالوا: إن طبأخنا قال: لحم الضأن ولحم البقر لا يختلفان فاشتري لحم البقر لأن لحم البقر أقل سعراً.

إن الشيء الذي يقدمه الإنسان من خير أو شر، كبير أو صغير للإمام الحسين (عليه السلام) ولغيره مما هو مرتبط بالله سبحانه يسجل، كما قال سبحانه في كتابه الحكيم: ((وعندنا كتاب حفيظ)) (١)، وقال عز وجل: ((لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)) (٢) وفي آية أخرى يعرض ما يقوله الإنسان في الآخرة لنفسه: ((يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً)) (٣). فقد قال القرآن الحكيم: ((ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره)) (٤).

التاجر البخيل

وبهذه المناسبة نروي قصة أخرى حول قراءة العزاء على الإمام الحسين (عليه السلام) وملخصها أن السيد صالح الحلبي (٥) كان يقرأ العزاء الحسيني في منزل أحد التجار، فحضر السيد صالح المنبر في الليلة الأولى والثانية من شهر محرم ولكن في الليلة الثالثة لم يحضر، ولما فتشوا عن السيد رأوه موجوداً في مدينة النجف الأشرف ولم يكن مسافراً ولا مريضاً وما أشبه، فتعجب التاجر من الأمر فذهب إليه وقال له: لماذا لم تأت وكان الناس ينتظرونك؟ قال: لا آتي إليك أبداً، وكلما أصروا على السيد صالح الحلبي على الحضور امتنع، فذهب صاحب المجلس إلى السيد كاظم الطباطبائي (٦) (رحمه الله)، وقال له: أرجو منكم أن تحضروا السيد صالح وتسألوه عن سبب عدم مجيئه لمجلسي فإن ذلك يوجب انكساري عند الناس وتدمير سمعتي. فأحضره السيد كاظم (رحمه الله) وقال له: لماذا لا تحضر مجلس العزاء؟ إحضر، قال السيد صالح: لو

١- سورة ق: ٤.

٢- سورة فصلت: ٤٢.

٣- سورة الكهف: ٤٩.

٤- سورة الزلزلة: ٧ و ٨.

٥- السيد صالح بن السيد حسين الحلبي النجفي؛ عالم فاضل وخطيب شهير ولد في الحلة عام (١٢٨٩هـ) ثم هاجر إلى النجف الأشرف فآتم قراءة سطوح الفقه والأصول على لفيف من العلماء وأهل الفضل، ثم حضر على الشيخ آغا رضا الهمداني والشيخ محمد طه نجف والشيخ محمد كاظم الخراساني وغيرهم.. وتوفي ليلة السبت (٢٩/شوال/١٣٥٩هـ) ودفن في وادي السلام.

٦- السيد محمد كاظم ابن السيد عبد العظيم الطباطبائي البزدي النجفي المعاصر؛ ولد في سنة (١٢٤٧هـ)، من مؤلفاته (حاشية على مكاسب الشيخ الأنصاري) مطبوعة ورسالة عملية كبرى كثيرة الفروع أسماها (العروة الوثقى) و.. توفي في داره بمحلة الحويش من النجف قبيل فجر من ليلة الثلاثاء (٢٨/رجب/١٣٣٧هـ).

أمرتني أنت فأنا مستعد للحضور لكن لي قصة وهي أنني رأيت في المنام بعدما ذهبت إلى المجلس ليلتين متواليتين، الإمام الحسين (عليه السلام) وقال لي: لا تحضر هذا المجلس ولا تقرأ العزاء عند هذا التاجر لأنه جعلني بمنزلة الفقير، حيث يشتري الشاي والسكر غير الجيدين وما أشبه للمجلس، ولست بفقير حتى أحتاج إلى مثل هذه الأمور!، عند ذلك التفت السيد كاظم الطباطبائي (رحمه الله) إلى السيد صالح وقال: إذن إذا أمرك الإمام الحسين (عليه السلام) بعدم الحضور لهذا المجلس فلا تحضر وإني لا أتجرأ أن أقول لك يحضر المجلس مرة أخرى، وهكذا ساءت سمعة التاجر ومجلسه بسبب هذه الرؤيا الصادقة ولم يحضر السيد الكاظم (رحمه الله) المجلس أيضاً.

آثار العزاء الحسيني

وهناك قصة لطيفة نقلها لي السيد الشجاع (١) المعروف، وكان من خطباء كربلاء المقدسة بعد أن خرج من إيران متوجهاً إلى العراق وعزم على البقاء في كربلاء وفي جوار الإمام الحسين (عليه السلام) إلى أن وافاه الأجل.

قال: لما قدمت من إيران قاصداً كربلاء المقدسة وكنت سامعاً بمنبر السيد جواد وصفاته الأخلاقية المتمثلة بقوته وإخلاصه فاشتقت إلى حضور مجلسه، وذات يوم وقبل أن أذهب إلى الحرم الشريف أو أن أعمل أي شيء آخر سمعت أن السيد جواد الهندي (٢) يقرأ في أحد بيوت منطقة (باب الطاق) فذهبت إلى هناك ودخلت المجلس الذي كان محتشداً بالمعزين، وهم ينتظرون قدوم السيد جواد الهندي وارتقاه المنبر وما كنت رأيت السيد في حياتي من قبل، فذهبت وجلست مع الناس، وأخذتني سنة من النوم فرأيت أن السيد الهندي دخل وصعد المنبر وقرب رأسه فرشت قطعة سجاد، وجاء النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجلسوا عليها ثم شرع السيد في قراءته للعزاء الحسيني ولما وصل إلى ذكر المصيبة والمقتل، رأيت أن مولاتي فاطمة (عليها السلام) - وأنا في المنام - أشارت إلى السيد الهندي أن اقرأ مصيبة علي الأكبر فامتثل لأمرها، وفي هذه الأثناء رفع الناس أصواتهم بالصلاة على محمد وآل محمد فانتبهت من غفوتي ورأيت السيد آخذاً في المجيء فرأيت في يقظتي كما رأيته في عالم الرؤيا بنفس الشكل والمواصفات فدخل وارتقى المنبر وأخذ يقرأ نفس الأشعار التي سمعتها وأنا في عالم الرؤيا حتى وصل إلى (الكريز) (٣) وإذا به

١- السيد إسماعيل شجاع الواعظين؛ ولد في كربلاء ولم تعرف سنة ولادته ودرس على كبار العلماء مختلف العلوم كان مؤمناً صالحاً يركز اهتمامه في قضايا الناس وأمورهم.

٢- الخطيب الحسيني السيد جواد بن السيد محمد علي الحسيني الهندي الحائري المولود في كربلاء في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، نشأ وترعرع في ظل أسرة علوية شريفة، تنتسب إلى الإمام الحسين بن علي (عليهما السلام) درس على العالم الشيخ زين العابدين الحائري (السيد جواد الهندي) والسيد محمد حسين المرعشي الشهرستاني، توفي في سنة (١٣٣٣ هـ) ودفن في الروضة الحسينية بكربلاء.

٣- الكريز: كلمة فارسية تعني (الفرار) لغة، وقد اصطلح بادئ الأمر بين خطباء المنبر الحسيني الفارسيين لمفهوم الانتقال الفني في الخطابة من موضوع البحث إلى قراءة المقتل وذكر المصيبة ثم انتشر تدريجياً بين عامة الخطباء الحسينيين.

يسكت هنيئة ثم قال: ألهمت بأن اقرأ عن مصيبة علي الأكبر وشرع فيها...، ولكنني لم أر قطعة السجاد ولا المعصومين (عليهم السلام)، ولكنني أيقنت بعلو مقام السيد الحلبي.

قال السيد إسماعيل الشجاع: ومن ذلك الحين اعتقدت بفخامة منزلة السيد جواد الهندي كثيراً وعرفت أنه محفوف برعاية أهل البيت (عليهم السلام).

الاحتياط في الأموال

بعد وفاة السيد أبو الحسن (١) (رحمه الله) والحاج حسين القمي (٢) (رضوان الله عليه) انتقلت مرجعية التقليد إلى الوالد (قدس سره) وأخذ يقدم الرواتب الشهرية لطلبة الحوزة العلمية؛ فتقدم إليه رجل إيراني بعد إتمامه صلاتي المغرب والعشاء وقال للوالد:

إني كنت مديوناً للحقوق سبعة عشر ألف دينار، وكان المبلغ في ذلك الوقت يفوق الراتب الشهري الذي كان يقدمه الوالد لطلبة الحوزة العلمية لثلاث سنوات، ولكن الوالد أشكل في أخذه فأصرّ الإيراني وأصر الوالد على عدم استلام الأموال وهو في طريقه من باب الصحن الشريف إلى البيت، وأخيراً يأس الرجل الإيراني، ورجع فلما ذهب قلت للوالد: بما أنكم لم تعطون الراتب الشهري للطلبة، وكان المبلغ كافياً لأن يكون راتباً شهرياً للطلاب! فتوجه إلي الوالد قائلاً: يجب علينا أن نفكر في آخرتنا، كيف نجيب الله سبحانه عن كل تصرفاتنا.

حفظ القرآن وقراءته

كان الوالد (رحمه الله) حافظاً للقرآن يقرأ كل يوم جزءاً منه بعد أذان الصبح والصلاة، وذات مرة ونحن في

١- السيد أبو الحسن بن السيد محمد بن السيد عبد الحميد الموسوي الأصفهاني النجفي؛ ولد سنة (١٢٨٤هـ) في بعض قرى أصفهان، من مؤلفاته رسائله العملية (وسيلة النجاة) وحاشية على العروة الوثقى للسيد اليزدي الطباطبائي... توفي في (٩/ذي الحجة/١٣٦٥هـ) في مدينة الكاظمية ونقل جثمانه الطاهر إلى النجف الأشرف.

٢- السيد آغا حسين بن السيد محمود بن محمد بن علي الطباطبائي القمي الحائري؛ من أجلاء العلماء ومشاهير المراجع، ولد في قم في عام (١٢٨٢هـ) وقرأ المقدمات في مدينته ثم تشرف إلى العتبات المقدسة زائراً ومنها رجع إلى إيران فسكن طهران فقرأ المقدمات والسطوح ثم حج بيت الله وعاد إلى العراق، بقي في النجف ثم ذهب إلى سامراء فحضر بحث المجدد الشيرازي، وفي سنة (١٣٠٦هـ) عاد إلى طهران فاشتغل بالعلوم العقلية والعرفان والرياضي على فلاسفة عصره، وفي سنة (١٣١١هـ) هاجر إلى النجف لتكميل العلوم الشرعية فحضر أبحاث الميرزا حبيب الله الرشتي والمولا علي النهاوندي والكاظمين الخراساني واليزدي وغيرهم، ثم هاجر إلى سامراء فحضر أبحاث الميرزا محمد تقي الشيرازي عشر سنين. وفي سنة (١٣٣١هـ) هبط مشهد الرضا (عليه السلام) وتصدى للتدريس والإمامة ونشر الأحكام فكانت له المكاة العظيمة في نفوس جماهيرها رجع الناس إليه في التقليد، ونشرت رسائله العملية وكانت تأتيه الاستفتاءات من سائر أنحاء إيران، حدثت بينه وبين رضا شاه البهلوي النفورة بسبب عداة الأخير للعلماء ونزع الحجاب وإماتة السنة وإحياء البدع ونشر اللادينية، ثم هاجر إلى العراق وعزم على الإقامة فيه فسكن كربلاء وأقبل عليه الناس وبعد وفاة السيد أبو الحسن رشح للزعامة العامة ومال إليه الناس في العراق وإيران إلا أن الأجل لم يمهلته حيث مرض وحمل إلى بغداد فتوفي بها في المستشفى يوم الأربعاء (١٤/ربيع الأول/١٣٦٦هـ)، ونقل إلى النجف ودفن بها. (نقباء البشر: ج ٢ ص ٦٥٣).

طريقنا من مدينة النجف الأشرف إلى مدينة كربلاء المقدسة من الطريق العلوي، وفي أثناء الطريق تعطلت السيارة فجأة فقال السائق إن وقود السيارة قد نفذ فيلزم أن ننتظر في مكاننا حتى شروق الشمس ومرور السيارات لأن الطريق لا تعبر فيه السيارات بالليل، وأخذ الوالد في المشي حتى الصباح، لكنني بقيت في السيارة لشدة البرد، وفي الصباح سألته: لماذا لم تنم الليلة وهي ليلة شديدة البرد؟!، قال: سنحت لي هذه الفرصة بأن أقرأ ثمانية أجزاء من القرآن الكريم حفظاً.

من أخلاقه السامية

وكان والدي (رحمه الله) يكنس غرفته بنفسه ولا يأذن لأحد أن يكنسها غيره لأن في ذلك تكليفاً كما كان يقول، كما ويغسل ثيابه بنفسه.

من طلب العلا سهر الليالي

قال لي الوالد (رحمه الله) ذات مرة: كنت في الليالي أذهب إلى القبو المقدس منذ الساعات الأولى لليل وحتى إقبال الصباح أجلس هناك بمفردي وأغلق الباب على نفسي واشتغل بقراءة القرآن والدعاء والصلاة وما أشبه ذلك فإذا أصبح الصباح وأديت صلاة الفريضة أخرج من القبو قاصداً بيتنا.

كان ذلك في أيام وحدته قبل زواجه.

العتبات المقدسة

نقل لي الوالد (رحمه الله) أنه عندما خرجنا من سامراء قاصدين مدينة الكاظمية المقدسة، ومكثنا فيها لفترة ستة أشهر وفي ذلك الوقت لم نكن نملك شيئاً، فكنا نتناول التمر الزاهدي والقثاء بديلاً عن أنواع الأغذية الأخرى، وكنا نشترى رغيف الخبز لوالدتنا لأنها (رحمها الله) لا تتمكن من تناول القثاء والتمر الزاهدي.. بعد ذلك حيث أمن الطريق توجهنا إلى النجف الأشرف وسكننا هناك إلى أن خرج الوالد منها قاصداً كربلاء المقدسة عند مجيء السيد القمي (رحمه الله) إليها وبطلب منه. بالطبع بقي الوالد (رحمه الله) في هذا الوسط مدة في كربلاء يتلمذ عند خالي الشيخ ميرزا محمد تقى (رحمه الله) قائد ثورة العشرين ورافقه أيضاً في قيادة تلك الثورة.

التوكل على الله

نقل لي الوالد (رحمه الله) أنه لما خرج من سامراء وكان حينها قد حمي وطيس الحرب بين العراقيين والبريطانيين، وقد منع البريطانيون من إخراج المواد النحاسية لأن النحاس كان يستخدم في صنع الأسلحة، قال: خرجت من سامراء قاصداً كربلاء المقدسة وأنا محمّل من بيتنا وبيوت العوائل الأخرى أواني ومواد نحاسية كثيرة، أحملها على دواب وكان ينبعث منها الصوت أثناء الحركة في الطريق كما هو شأن النحاس المحمل على الدابة، ولما وصلت جسر بغداد - وكان الجسر محفوفاً بالشرطة يفتشون أمتعة الناس - أخذت أقرأ هذا الدعاء حتى أتخلص منهم ومن كيدهم والدعاء هو:

(اللهم إني أتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة وأهل بيته الذين اخترتهم على علم على العالمين، اللهم فذل لي صعوبتها وحزونها واكفني شرّها فإنك الكافي المعافي والغالب القاهر).

وهذا دعاء أمير المؤمنين علي (عليه السلام) علّمه ذلك الرجل الذي جاء إليه يشتكي إليه في قصة مشهورة مذكورة في البحار (١).

قال الوالد (رحمه الله): ولما مررت على مركز التفتيش في الطرف الثاني وهم حشود متجمعة لم يتوجهوا إليّ إطلاقاً، وأخذت ما معي على الدواب بسلام ولم يكن ذلك إلا من بركة هذا الدعاء. واني - المؤلف - أيضاً جربت هذا الدعاء في وقت الأزمات فانفجرت جميعها بإذن الله سبحانه.

الملاريا

في مدينة النجف الأشرف ابتلى الوالد (رحمه الله) بالملاريا الشديدة.. وكان مرضاً صعب العلاج في ذلك الوقت، وأخيراً نصحه أحد الأطباء بالتوجه إلى مدينة شيراز والبقاء فيها لمدة حتى تمام الشفاء، فقصّد شيراز عن طريق مدينة بوشهر، قال: وفي بوشهر زارني العلماء... وطلب مني جمع من المؤمنين أن ارتقي المنبر وأصلي بهم صلاة الجماعة في شهر رمضان فقط، قال: ففعلت ذلك، وكنت أبين لهم أحكام المسائل الشرعية لكن بدون إشارة إلى رأي أحد العلماء وإنما تلوت المسائل المجمع عليها، قال: فصار الإقبال على المسجد شديداً فتعلم آخرون وأخذوا يبينون المسائل الشرعية من على المنابر خلال شهر رمضان.

ثم إني خرجت من ذلك البلد وقد رأيت فيه شينيين ظريفيين: منها أن الطقس كان حاراً جداً فكنت إذا زرت

١- راجع بحار الأنوار: ج ٩٢ ص ١٩١ ب ١٠٦ ح ٢٠، وفيه: (عن ابن عباس قال: كان رجل على عهد عمر وله إبل بناحية آذربيجان قد استصعبت عليه فشكا إليه ما ناله وأن معاشه كان منها فقال له: اذهب فاستعث بالله تعالى، فقال الرجل: ما زلت أدعو الله وأتوسل إليه وكلمنا قربت منها حملت علي... قال ابن عباس: فضيت به إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقبسم ثم قال: ألم اقل لك. ثم أقبل على الرجل فقال له: إذا انصرفت إلى الموضع الذي هي فيه فقل: (اللهم إني أتوجه إليك بنبيك...)، قال فانصرف الرجل راجعاً فلما كان من قابل قدم الرجل ومعه جملة من المال قد حملها إلى أمير المؤمنين وصار إليه وأنا معه فقال (عليه السلام): تخبرني أو أخبرك؟ فقال الرجل: يا أمير المؤمنين بل تخبرني. قال (عليه السلام): كآني بك وقد صرت إليها فجاءتك ولاذت بك خاضعة ذليلة فاخذت بنواصيها واحدة واحدة. فقال الرجل: صدقت يا أمير المؤمنين كأنك كنت معي، الخبر.

العلماء هناك رأيت بعضهم جالسين في خاوية ماء بسبب الحر الشديد ومجالسهم بالرغم من ذلك كانت مكتظة بالمراجعين.

عالم الجن

البيت الذي سكن الوالد (رحمه الله) فيه بعد رجوعنا من النجف الأشرف يقع في زقاق (المائية) وهو نفس البيت الذي ولد فيه وكان بفاصل دار من دارنا إلى طرف الشرق دار (قاسم البقال) فنقل لي الوالد بقوله: في أيام وجودي في كربلاء المقدسة وقبل ذهابنا إلى سامراء كنت أسمع صوت الجن من قبو هذا البيت يبكون وينوحون على الإمام الحسين (عليه السلام) في الليالي العشر الأولى من شهر محرم الحرام. إن وجود الجن حقيقة واقعية وقد سمعهم ورأهم كثير من الناس الذين التقيت بهم بنفسي سواء في مدينة كربلاء المقدسة أو في الكوفة أو في قم، وقد قدم إلي ذات مرة شاب وأنا في الكويت وكان عليه سيماء الوجهة لكنه كان فيه آثار المرض وأراني بعض مواضع جسمه وكان فيها آثار حروق متعددة من رقبته حتى قدمه، وقال لي: إنه كان عاملاً من لبنان يعمل في (مسيرة بيدش) وهو من فنادق الدرجة الأولى في الكويت وموجود إلى الآن، ومنذ مدة تأتيني جنية جميلة وهذه الآثار منها، وقد ذهبت إلى جماعة من الأطباء فاستهزؤوا بي وضحكوا ولم يعالجوني، وذهبت إلى جماعة يكتبون الأدعية فأعطوني أدعية لكنها لم تنفع، ولما سمعت بك، جئت إليك لأخذ منك دعاءً لعلاج هذه الحالة.

قلت: لا بأس، فكتبت له أدعية وآيات قرآنية مثل (آية الكرسي) و (القلقل الأربع) وما أشبه ذلك وقدمتها له وقلت له احتفظ بها في يدك اليمنى واسأل الله أن يزيل هذا الكرب عنك، وبعد مدة عاد إلي وهو مستبشر وأراني جسمه وآثار الحروق قد خفت لدرجة كبيرة، قال: من الليلة التي حملت هذا الدعاء لم تأتني تلك الجنية والحمد لله رب العالمين فبدأت بالتحسن، ثم قدم لي نقوداً كثر لما عملت له، لكنني أبييت الأخذ وكلما أصر لم آخذ وقلت له: لعلني إذا أخذت المال تذهب فائدة الدعاء وتعود الجنية إليك، ولذا خاف وامتنع عن الإعطاء وانصرف.

حفظه القرآن في الليالي

ونقل الوالد (رحمه الله) أنه كان يحفظ القرآن في كل ليلة، وذلك لانشغاله نهاراً بالدراسة، وعند المساء لأنه لم يتمكن في سامراء من شراء الوقود للإضاءة فكان يحفظ القرآن مستعيناً بضوء القمر حتى أتم حفظ القرآن الكريم بتلك الصورة، وكان حافظاً له حتى انتقله إلى جوار ربه.

قال (رحمه الله): وابتليت بسبب كثرة القراءة في ضوء القمر إلى إصابتي بمرض العشو الليلي، فلم أتمكن من الرؤية إلا في النهار، فنذرت للسيد محمد (١) إذا أتم شفائي بإذن الله أزور السيد محمد كل عام مرة وأهدي

١- السيد محمد المكنى بأبي جعفر فهو المعروف بجلالة القدر وعظم الشأن وكفى في فضله قابليته وصلاحه للإمامة، وكونه أكبر ولد الإمام الهادي (عليه السلام)، وزعم الشيعة أنه الإمام بعد أبيه لكنه توفي قبل أبيه فقال الإمام الهادي (عليه السلام) بعد وفاة محمد

إلى مرقدده الشريف رزمة من الشموع، فشافاه الله.

وكان (رحمه الله) حتى أواخر أيامه يقوم بزيارة السيد محمد ليفي بنذره بعد أن ازدادت قوة بصره بشكل كبير جداً بحيث أن دارنا التي تقع قرب موضع الخيم في مدينة كربلاء كان الوالد (رحمه الله) يرى ساعة ضريح العباس (عليه السلام) من هناك ويميز بين الأعداد، بينما أنا وفي أيام شبابي ما كنت أرى إلا هيكل الساعة فقط.

من زهده (رحمه الله)

ونقل لي الوالد (رحمه الله) أنه في أثناء عطلة من العطل جاء إلي (السيد محمد) رجلاً من مدينة سامراء، والمسافة بينهما ثمانية فراسخ، قال: إني لم آخذ إلا الخبز الجاف، فكنت أكل ذلك الخبز الجاف مع ماء البئر المر طيلة فترة بقائي هناك ولمدة شهر كامل، واتفق أن أحد الأصدقاء جاء لي بقطعة من الجبن الجاف فكنت أكل في بعض الأوقات الخبز الجاف والجبن لأيام معدودة فقط.

قلة النوم

ذات مرة نصحني الوالد (رحمه الله) بأن أنام قليلاً، ثم قال: إني كنت في أيام شبابي في الليل والنهار لا أنام إلا ساعتين ونصف فقط والباقي من اليوم منشغلاً بالقراءة والحفظ والمذاكرة وقراءة القرآن والأدعية وما أشبه ذلك.

وقد كان حافظاً لثمانية آلاف بيت من الشعر من جملتها: (الألفية) ومنها (قصيدة السيد محمد باقر المسماة بالنجم الثاقب) وكذلك (مقامات الحريري) وغيرها كثير.

قال لي: وكنت قليل النوم وكنت أقول لنفسني: ستنام في القبر مدة طويلة جداً فأقلل من نومك وأخر النوم للقبر.

حسن الخلق

كان الوالد (رحمه الله) راقياً في كرم أخلاقه وحسن معاشرته، لا يردّ الإساءة بمثلها، وقد كتب إليه ذات مرة شخص رسالة خاطبه فيها بـ (أيها اليهودي)!!، فتأثر من الكتاب ولكنه لم يقل شيئاً ولم يرد عليه ولا بكلمة.

لابنه الحسن العسكري (عليه السلام): يا بني أحدث الله شكراً فقد أحدث فيك أمراً - أي جعلك إماماً بموت أخيك الأكبر قبلك - . ومزار السيد محمد يقع في ثمان فراسخ عن سرّ من رأى قرب قرية بلد وهو من أجلاء السادة وصاحب كرامات متواترة حتى عند أهل السنة والأعراب، فهم يخشونه كثيراً ولا يحلفون به يمينا كاذبة ويجلبون النذور إلى قبره بل يقسم الناس بحقه في سامراء لفصل الدعاوي والشكايات، يقول شيخنا في كتاب (النجم الثاقب): ولقد رأينا مراراً أن المنكر لأموال شخص مثلاً إذا طلبوا منه القسم بأبي جعفر كان يردّ المال ولا يقسم وذلك لتجربتهم أن الكاذب لو حلف به يصيبه الضرر.

من كرامات العباس (عليه السلام)

قال لي المرحوم الوالد ذات مرة: كنت ماشياً في شارع الإمام علي (عليه السلام) بالقرب من حمام البغدادي فتوجهت إليّ رصاصة لكن من حسن الحظ أن الرصاصة مرت بالقرب من أذني ولم تصبني بأذى، وذلك في أيام رمي العثمانيين للأهالي العزل الآمنين في مدينة كربلاء المقدسة بالرصاص.

وقد نقل لي جماعة من الثقة أنه وفي تلك الأيام حيث تقدم الجيش العثماني إلى مدينة كربلاء المقدسة وبالقرب من مرقد العباس (عليه السلام) هجموا على الأهالي وقتلوا منهم مجموعة من الأبرياء ثم خرج من القبر الشريف.. من القبة الشريفة نار، توجهت إلى ذلك الجيش فانهزموا جميعاً وهم يقولون (إمام عباس كلدي) أي جاء الإمام العباس..، وحفظت كربلاء من العثمانيين ببركته (عليه السلام). وإن كانوا قد أوسعوا فيها قدراً من الفساد.

صفاء القلب وظهر النوايا

ونصحتني الوالد (رحمه الله) ذات مرة في جملة من نصائحه فقال: إذا ظهرت أعمالي في يوم القيامة أمام الناس يجب أن تكون خفايا قلبي مطابقة لظاهر عملي، فإن رأى الناس تلك الأعمال قالوا إن ما كنا نراه منه في الدنيا لهو بمثل ما نراه الآن، بلا زيادة أو نقصان.

طي الأرض

نقل لي بعض الثقة أنه رأى والدي (رحمه الله) بين مدينتي النجف وكربلاء في الصحراء وحيداً يمشي فتعجب من الأمر وتسائل عن كيفية مجيئه إلى هنا والصحراء مقفرة بدون سيارة ولا وسيلة لنقله، قال: وبعد رجوعي إلى مدينة كربلاء المقدسة - وأنا طول الطريق كنت راكباً السيارة - رأيته في كربلاء!

تذكرة القبر

نقل لي بعض الثقة أن الوالد (رحمه الله) كان يذهب إلى المقبرة ويدخل قبراً خالياً وينام فيه ويتذكر القبر وأحواله ويفترض أنه الميت ثم يقول بصوت عال: ((ربّ أرجعون لعلّي أعمل صالحاً فيما تركت)) (١)، ويبقى

١- سورة المؤمنون: ٩٩-١٠٠.

لفترة من الزمن على هذا الحال ثم يخرج من القبر ويعتبر نفسه قد عاد إلى الحياة فيعمل لآخرته ما ينجي.

التربة الحسينية

وصى الوالد (رحمه الله) أن يدفن معه تربة حسينية كانت في حوزته، وكانت تلك التربة تصبح يوم عاشوراء كقطعة دم وفي اليوم الحادي عشر تعود إلى ما كانت عليه، وكما أوصى بأن يدفن معه القرآن الصغير الذي كان يحفظ فيه القرآن أيام شبابه.

وعملنا بوصيته في الأمرين فدفنت معه التربة الحسينية موضوعة على صدره، والقرآن الكريم عند رأسه.

التصدي للانحرافات السياسية والاجتماعية

في كربلاء المقدسة أيام المذ الشيوعي طغت الشيوعية تحت لواء عبد الكريم قاسم، وكان عبد الكريم قاسم بريطاناً لكنه اعتمد عليه الشيوعيون في مواجهة جمال عبد الناصر الذي كان مرتبطاً بالاستعمار الأمريكي، وذلك لمنع سيطرة عبد الناصر في العراق، وفي تلك الفترة فعل الشيوعيون الأفاعيل العجيبة في العراق وقد أشرنا إلى بعض أفعالهم في كتاب (مباحثات مع الشيوعيين) فاجتمع العلماء ومنهم السيد الحكيم والوالد (قدس سرهما) وقرروا أن يصدر فتوى ضد الشيوعية فصدرت الفتوى المشهورة: (الشيوعية كفر وإلحاد) ونشروها في كافة أنحاء العراق، ولهم تصوير في بيت الوالد، ورداً على ذلك قرر الشيوعيون اغتيال مائة وأربعة عشر شخصاً وكان من جملة أولئك الوالد (رحمه الله) حيث كان له الدور المهم في محاربتهم بالفتوى والتحريض عليهم، كما كنت أيضاً من جملتهم حيث كنت أقوم ببعض نشاطات التوعية في ذلك، لكن الله لم يوفقهم، وقد قتلوا بعض الأشخاص الآخرين!.

وكان أهالي مدينة كربلاء قد اهتموا بمناسبة مولد الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وأقاموا الاحتفالات العظيمة، وقد استعدوا لإحياء هذا الاحتفال منذ ثلاثة أشهر أو أكثر، وقد دعونا منات الشخصيات الكبيرة سواء من التجار أو العلماء أو الجيش وغيرهم، وصار احتفالاً مثالياً لعل مدينة كربلاء لم المقدسة لم تشهد مثيله قبل ذلك.. وقد ألقى في الاحتفال كبار علماء أبناء العامة ورؤوس علماء الشيعة وكان للسيد الحكيم (قدس سره) كلمة وحضر السيد الحكيم الاحتفال، لكن الوالد لم يحضر بنفسه الاحتفال لأنه ما كان يطيق الحضور.

ومنذ ذلك اليوم أخذت كربلاء المقدسة دوراً عظيماً في محاربة الانحرافات التي انتشرت في العراق متلبسة لوجوه مختلفة تارة باسم الشيوعية وتارة باسم القومية وتارة باسم البعثية.

كما قتل البعثيون من أهالي مدينة كربلاء الكثيرين لعل عددهم يفوق ثلاثة آلاف شخص في قضية الانتفاضة المشهورة وفي أيام الشيوعيين كانت تخرج في شوارع كربلاء مظاهرات لبعض النساء تمثل أبشع صور الوضاعة والاتحلال، وحيث رأى الوالد أن هذه الأوضاع لا تناسب وقدسية مدينة كربلاء أرسل إلى فؤاد عارف)

(١) وكان حين ذاك متصرفاً للواء كربلاء طالباً منع هذه المظاهرات النسائية فأجاب فؤاد عارف أنه لا شأن لرجل دين أن يتدخل في الأمور السياسية، لكن الوالد ردّ عليه بأن هذا ليس أمراً سياسياً وإنما هي قضية تضرب صلب الدين باستهتار النساء في بلد مقدّس بالإضافة إلى ترديدهم الشعارات المخالفة للدين مثل قولهم:

(بعد شهر ماكو مهر***ونذب القاضي بالنهر)

وخاف المتصرف من إصرار الوالد فأمر بإيقاف تلك المظاهرات.

لكنهم التجأوا إلى حيلة أخرى وهي ما أطلقوا عليها اسم (أنصار السلام)، فتوجهت بصحبة مجموعة من العلماء إلى بغداد للقاء مجيد الربيعي وعبد الكريم قاسم لمنع هذه المظاهرة، لكن عبد الكريم قاسم كان مصراً على استمرار هذه المظاهرة وبالفعل حدثت المظاهرة في مدينة كربلاء وولدت المآسي والمشكلات الكبيرة، وكان من شعارات المتظاهرين لأجل هذا الاحتفال ونحوه:

(عيني كريم للأمام***ديمقراطية وسلام)

في الوقت الذي لم يكن فيه العراق ديمقراطياً وليس فيه أي وجه من وجوه السلام كما هو معروف.

الحساب الدقيق

وقد رأى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي (٢) (رحمه الله) - وكان معتمداً للوالد ومقسماً للرواتب الشهرية - المرحوم الوالد في عالم الرؤيا بعد مضي أسبوع من رحيله فقال له الوالد (رحمه الله): قل لمحمد - أي أنا - لم تصل إليّ الأمانة، فذكر لي الشيخ الكرباسي ما رآه في المنام فتعجبت حيث أنني أوصلت الأمانة إلى أصحابها، وبعد تفكر وتفحص وجدت عباءة زهيدة الثمن أهديت للوالد لأجل التوزيع فعلمت أنها المقصودة بالأمانة وكانت موجودة في دارنا، فلذا أعطيت العباءة للشيخ محمد الكرباسي لكي يوزعها على الطلبة، وبعد ذلك رأى الشيخ في المنام الوالد مستبشراً وقال له: قل لمحمد أن الأمانة قد وصلت، مما تبين لي أن الوالد (رحمه الله) كان منزعاً من عدم وصولها إلى أصحابها.

١- فؤاد عارف كان متصرفاً للواء كربلاء المقدسة من ١٩٥٨/٦/٢٢ إلى ١٩٥٩/٢/٩م.

٢- آية الله الحجة الشيخ محمد بن أبي تراب (علي) الكرباسي؛ ولد في مدينة النجف الأشرف في ثالث من ذي الحجة عام (١٣٢٤هـ) في بيت التقى والفضيلة ونشأ في جو مقعم بالولاء، اختار مدينة أصفهان مقراً له وذلك عام (١٣٣٨هـ) لكنه لم يتمكن من مواصلة البقاء فيها فسكن سامراء المشرفة حيث الجو أكثر اعتدالاً ثم شعر بأنه لا يستغني عن مركز العلم (النجف الأشرف) فعاد إليها بعد عام من سكناه في سامراء فنصحها الأطباء ثانية بمغادرة النجف الأشرف وعندها اختار كربلاء المقدسة فحلّ فيها عام (١٣٥١هـ) حيث كانت الحركة العلمية نشيطة، كان فيها آيات الله العظام منهم: الشيخ علي الشاهرودي (١٣٥١هـ) والسيد أبو القاسم الطباطبائي (١٣٦٢هـ) والسيد عبد الحسين الحجة (١٣٦٣هـ) والسيد محمد هادي الخراساني (١٣٦٨هـ) فنال قسطاً كبيراً من المعرفة على أيديهم، وكان عضواً مؤسساً ورئيساً في مدرسة الإمام الصادق (عليه السلام) الابتدائية والتي تأسست عام (١٣٧٥هـ) برعاية المرجع الديني الكبير آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي (قدس الله روحه)، حلّ في طهران عام (١٣٩١هـ) وأمضى هناك حوالي السنة، منتظراً العودة إلى بلاده ولكن دون جدوى، فانتقل منها إلى مدينة قم المقدسة والأمل لا يفارقه في العودة إلى وطنه إلا أن المنية كانت أقوى من الإرادة، إنها مشيئة الله تعالى التي لا راد لها، فكانت وفاته فيها في التاسع من جمادي الثانية عام (١٣٩٩هـ).

الأدب والشعر

وكان الوالد (رحمه الله) ناظماً متميزاً للأشعار الجميلة، منها قصيدة حول فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وقصيدة أخرى حول الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وغيرهما..

الشعائر الحسينية

كما أنه (رحمه الله) كان يقوم بالعزاء الحسيني والطمع مع جماعة من طلبة الحوزة العلمية في سامراء وكان يعقد المجالس الحسينية، وذات مرة كان ينصب السواد لعاشوراء على جدران الحسينية فسقط من السلم الذي كان صاعداً عليه لكنه لم يصب بشيء، وقد رأت والدته - فيما نقل لي - أنه قيل لها: كيف يصاب بأذى وقد تناولته الخمسة الطيبة أصحاب الكساء وهم أنزلوه، ومثله لا يصاب بشيء.

الخط الجميل

كان والدي (رحمه الله) جميل الخط، وكان يكتب كل جمعة مشقاً من إحدى رسائل العم، السيد عبد الله (١) إليه، وكان السيد عبد الله آية في جمال الخط.

مواجهة الفساد

وذات مرة جاء إلى الوالد (رحمه الله) متصرف (٢) لواء كربلاء المقدسة يطلب منه السماح بفتح دار سينما في مدينة كربلاء المقدسة، فامتنع الوالد ورفض بشدة.
فقال: إني أفتح السينما في منطقة (حي الحسين) وهو منفصل عن مدينة كربلاء.
قال الوالد: إنه جزء من كربلاء ولا أسمح لك بفتح السينما فيه مطلقاً.
قال: أفتحه بحيث لا يكون في السينما الأمور المحرمة.
قال له الوالد: إنها كلمة أنت قائلها.
وأخيراً قال المتصرف: إني سأفتح دار السينما.

١- السيد ميرزا عبد الله الشيرازي (١٢٩٤-١٣٥٣هـ) دفن في الروضة الرضوية بـ (صحن نو) في مدينة مشهد المشرفة (إيران)، ينقل عنه صاحب (منتخب التواريخ) وغيره.

٢- عن المتصرفين للواء كربلاء فترة مرجعية الإمام الراحل الشيرازي التي استمرت خمسة عشر عاماً - ابتداءً من يوم وفاة المرجع الديني السيد حسين الطباطبائي القمي عام ١٣٦٦هـ، واستمرت حتى توفاه الله في ٢٨ شعبان ١٣٨٠هـ.

وقال الوالد: وإنني سأمنع ذلك.

وأخيراً تيقن المتصرف أن الوالد مصر على أن لا يفتح السينما في مدينة كربلاء فامتنع عن تطبيق فكرته.

حفظ الآثار الإسلامية

وعندما كان متصرف مدينة كربلاء المقدسة هو عبد الرسول الخالسي^(١) عازماً على تخريب الآثار المهمة من أطراف الصحن متذرعاً بحجة إنشاء بعض الطرق، لكن الوالد وقف أمامه حتى لا يتمكن من تطبيق فكرته، وعطل صلاته لأيام، لكن قرار الحكومة كانت قطعياً، فتم تدمير الآثار العلمية والتاريخية والدينية في أطراف مدينة كربلاء المقدسة أمثال: (مسجد رأس الحسين (عليه السلام)) و (مدرسة الصدر) و (مدرسة الزينية) و (مدرسة حسن خان) و (مقابر جملة من العلماء) و (الصحن الصغير)، وبعد هذه الحادثة حاول المتصرف عبد الرسول الخالسي أن يزور الوالد بعد ذلك فامتنع عن قبول زيارته مطلقاً.

دعوة السيد الحكيم

في أيام الشيوعيين تعرض السيد الحكيم (قدس سره) للإهانة في النجف الأشرف فأرسل إليه الوالد (رحمه الله) جماعة يدعونه إلى المجيء إلى مدينة كربلاء المقدسة ويصلي في مكان الوالد وتلقى السيد الحكيم الطلب بالقبول وقدم إلى مدينة كربلاء فاستقبلناه استقبالاً كبيراً وفخماً، وذهب الوالد إلى زيارته وقدم شكره للوالد، دعاه الوالد إلى إقامة صلاة الجماعة في مكانه، لكن السيد الحكيم (رحمه الله) أبى وأصر أن يصلي الجماعة قرب مقبرة الميرزا الشيرازي في شرقي الصحن، بينما الوالد يصلي قرب باب الزينية في غربي الصحن، فأخذ السيد يصلي هناك والتفت الناس حوله، وحين ذاك جاء عبد الملك مدير شرطة مدينة كربلاء إلى السيد الحكيم والوالد وقال لهما: يجب أن تعلموا أن سياسة الحكومة هي الاهتمام بالشيوعيين وكبت من يخالفهم، وقد أمروني إذا حدثت منازعة بين شيوعي وغيره أن أحكم لصالح الشيوعي وإن كان الحق ضده وأعتقل غير الشيوعي وإن كان الحق معه.

هكذا كانوا يفعلون وكما رأيت ذلك بنفسي، حيث أن الشيوعيين في حادثة (أنصار السلام) سرقوا ونهبوا الكثير من المتاجر الواقعة في شارع الإمام علي (عليه السلام) نهباً مروعاً عصر يوم واحد، وأخذت الحكومة أصحاب المتاجر وسجنتهم في مقابل ترك الشيوعيين وشأنهم، لكن الله سبحانه كان لهم بالمرصاد، فبعد ذهاب عبد الكريم قاسم ومجيء عبد السلام إلى الحكم كان ذلك تدميراً لأولئك الشيوعيين في مدينة كربلاء المقدسة وغيرها، فقتلوا رمياً بالرصاص أو بالنفخ في بطونهم حتى الموت.

١- عبد الرسول الخالسي كان متصرفاً للواء كربلاء المقدسة من ١٩٤٨/١٠/١٢ إلى ١٩٥٠/٦/١٣م.

مع البهلوي الأول

سافر الوالد (رحمه الله) إلى إيران لأجل استنقاذ ما تبقى من الإسلام فيها مما أفسده البهلوي الأول وتمكن في المشهد المقدس من استرداد الأوقاف إلى أصحابها، والوالد (رحمه الله) كان هو المباشر لتطبيق استرجاع الأوقاف.

وقد قال لي حينها: إن أوقاف مشهد ممتدة منه إلى هرات في أفغانستان، وكذلك ممتدة في طرف آخر إلى طهران، وممتدة في طرف آخر إلى مازندران وتشتمل مساحات كبيرة. والأوقاف تشمل أيضاً: أوقاف للزائرين، وأوقاف للمساجد، وأوقاف للفقراء، وأوقاف حتى لكلاّب القوافل من الزائرين وأوقاف للهررة. وأوقاف كثيرة أخرى لكل أمر كبير أو صغير مثل: الأوقاف للزواج، والأوقاف للمرضى، والأوقاف لمن كسرت آنيته، وأوقاف للإطعام في مدينة مشهد المشرفة، وأوقاف للكتب، وغير ذلك مما هو كثير جداً.

كان ضحكه تبسماً

إني وإن عاشرت الوالد (رحمه الله) سنين متعددة لعلها تتجاوز ثلاثين عاماً، وصاحبته في سفره وحضره وفي الدار وفي الذهاب إلى الصلاة صباحاً وظهراً ومغرباً، لم أره ولا حتى لمرة واحدة أن ضحك بصوت وفهقهة وإنما كان ضحكه أحياناً يتبسم.

الحرب العالمية الثانية

في الحرب العالمية الثانية عانت الأسواق شحة في الكثير من المواد والسلع الاستهلاكية وفي مقدمتها السكر والأقمشة وما أشبه ذلك، اقتنع الوالد بما توفر من الأشياء، فكنا هو ونحن نتناول الشاي بالدبس أو بالتمر، كما أن الحرب استمرت حتى بليت الأشياء وارتفعت أسعار كل السلع، فالوالد استعاض عن القماشيات بـ.. وكنا ننام على الدواصي.

التفكر الدائم بالآخرة

كان الوالد (رحمه الله) دائم التفكير في الآخرة، يطبق كل شيء صغير وكبير على الموازين الشرعية. وإذا عاهد إنسان بموعد فالوعد كان الآخرة وكأنه يوم غد، كما يعد بعضنا بعضاً بغدٍ في داره أو غرفته أو ما أشبه ذلك.

ولم أره متأثراً متأثراً ظاهراً إلا مرة واحدة حيث سمع مخالفة الدين وتأثر تأثراً كبيراً جداً حتى أخذ يبكي.

زيارة العباس (عليه السلام)

كان المرحوم الوالد في أغلب الليالي - قبل إقامته لصلاة الجماعة - في عهد المرحوم الحاج آغا حسين القمي يتوجه لزيارة حرم العباس (عليه السلام) ويؤدي صلاته هناك، وكان يلتصق بالحائط ولا يستعد أن يصلي خلفه أحد^(١).

وكان يرى أن العباس (عليه السلام) باب إلى الإمام الحسين (عليه السلام) حيث يذهب بعد زيارة العباس إلى حرم الإمام الحسين (عليه السلام) لأداء الزيارة.

عندما أهانه شخص

وذات يوم أهانه شخص إهانة كبيرة وتجاوز عليه بشكل كبير فقال (رحمه الله): إنه لا يعلم لقد جعل حبلاً على عنق نفسه وأعطى رأسه بيدي في يوم القيامة، واكتفى بذلك فقط.

من يذكركم الله رؤيته

كان الوالد (رحمه الله) مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام: (من يذكركم الله رؤيته)^(٢) وكان المؤمن إذا رآه أو جلس بين يديه يتذكر الله والدار الآخرة، من خلال تصرفاته وأعماله وأقواله النابعة من اليقين الصادق.

مداومة حضور مجالس العلماء

وكان الوالد (رحمه الله) في أيام إقامتنا في النجف الأشرف يحضر مجلس الاستفتاء الذي كان يقيمه خالي السيد ميرزا علي^(٣) آغا ابن الميرزا الكبير.

١- كان ذلك قبل أن يصبح إماماً لصلاة الجماعة.

٢- راجع بحار النوار: ج ١٤ ص ٣٣١ ب ٢١ ح ٧٢ وفيه: عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (قالت الحواريون لعيسى (عليه السلام): يا روح الله من نجاس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته ويزيد في علمكم منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله).

٣- السيد ميرزا علي آغا الشيرازي خلف آية الله المجدد؛ ولد سنة (١٢٨٧هـ) أخذ والده إلى سامراء سنة (١٢٩١هـ) وهو خماسي، وفيها شب ونما واحتضنته حجور علمية، من تلمذة أبيه حتى حكي عن العلامة السيد محمد الفشاركي أنه تربى في حجر خمسين

وعندما انتقل إلى كربلاء المقدسة كان يحضر مجلس استفتاء المرحوم الحاج آغا حسين القمي في الليالي حيث يتوجه بعد أداء الصلاة إلى منزله مع السيد الميلاني (١) والسيد الكاشاني (٢) وغيرهم ويبقون هناك حتى الساعة الخامسة العربية (٣) من الليل ثم يعود إلى منزلنا.

والحاج آغا حسين القمي (رحمه الله) كان يعتمد عليه اعتماداً كبيراً جداً، وأحياناً عديدة كان يقول: إني لم أجد في إيران ولا في العراق شخصاً يشبه السيد ميرزا مهدي في أخلاقه.

حسن المعاشرة

وكان (رحمه الله) حسن المعاشرة مع جميع الناس، ولذا أدب اهالي مدينة كربلاء المقدسة بالأخلاق الدينية والاجتماعية الفاضلة (٤).

مجتهداً، توفي في النجف الأشرف (١٨/ربيع الثاني/ ١٣٥٥هـ). (راجع الكنى والألقاب: ج ٣ ص ٢٢٤).

١- الميلاني: محمد هادي ابن السيد جعفر ابن السيد أحمد ابن السيد مرتضى ابن السيد علي أكبر السيد أسد الله ابن السيد حسين الحسيني التبريزي (١٣١٣-١٣٩٥هـ).

فقيه أصولي كبير، ومجتهد محقق بارع، وزعيم ديني خبير ومن أئمة التقليد، وفي طليعة قادة الحركة الإسلامية الكبرى في إيران عام (١٣٨٣هـ)، ولد في النجف الأشرف وأخذ مقدمات العلوم والأوليات والسطوح من الفضلاء، واجتاز مراحل المتون بتفوق واجتهاد، ودخل حقل البحث الخارج، فقتلزم علي شيخ الشريعة الأصفهاني والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين النانيني والشيخ محمد حسين الأصفهاني، والشيخ محمد جواد الميلاني والسيد علي المرتضى والسيد عبد الغفار المازندراني، هاجر إلى مدينة كربلاء وفتح باب التدريس هناك، ثم هاجر في العام (١٣٧٣هـ) إلى مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) للزيارة.

توفي في ٣ رجب (١٣٩٥هـ).

من آثاره العلمية: تعليقات على العروة الوثقى، تعليقات على كتاب الهدى إلى دين المصطفى، تفسير سورة الجمعة والتغابن، حاشية المكاسب: ١-٤.

٢- السيد زين العابدين بن السيد محمد بن السيد حسين الكاشاني الحائري؛ عالم كبير وتقي صالح. كان والده من أعظم العلماء وشقيقه السيد حسين من الأعلام الأجلاء أيضاً، كان من تلاميذ الشيخ محمد كاظم الخراساني في النجف مدة، ثم تشرف إلى سامراء فمكث برهة مستفيداً من شيخنا الميرزا محمد تقي الشيرازي، وبعد وفاة والده قام مقامه في كربلاء أيام الحجة السيد آغا حسين القمي وكان يعينه في الفحص عن مصادر أجوبته للمسائل، وبعد وفاته هاجر إلى قم واتصل بالزعيم السيد آغا حسين البروجردي فأرسله بوكالة منه إلى الكويت، فكان هناك مرجعاً للأمور الشرعية وغيرها وبعد سنتين من ذلك مرض فعاد إلى قم وتوفي فيها في العشرة الثانية من صفر (١٣٧٥هـ) عن عمر يناهز السبعين عاماً، له آثار علمية منها: (أرجوزة في الحج) وغير ذلك.. (نقباء البشر: ج ٢ ص ٨٠٤).

٣- يقال له (التوقيت الغروبي): الساعة العربية، كما يقال له (التوقيت الزوالي): الساعة الإفرنجية.

٤- مصداقاً للحديث الشريف المروي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) حيث قال: (كونوا دعاة إلينا بغير ألسنتكم).

كما كان له التأثير التربوي الكبير على المجتمع الكربلائي - الذي عاش ضمنه وفي أحضانه - عن طريق آخر.. حيث أسس مركزاً لحفظ القرآن الكريم فكان النواة لتوسيع أنشطة مدارس حفظة القرآن الحكيم، وتأسيس وتشجيع المحافل القرآنية، والهيئات الحسينية وتأسيس وتنشيط فعاليات المساجد والحسينيات والمدارس بأنواع النشاطات التثقيفية والتوعوية وبأعمال البر والإحسان وغيرها كثير.. فكانت كربلاء تعج بالنشاطات الاجتماعية المتنوعة.. وكانت من القوة والصمود بحيث لم تؤثر عليها التيارات الإلحادية والاحترافية المفسدة رغم تنوع ألوانها وشعاراتها إلا القليل الشاذ والذي كان بدوره معرضاً للزوال والاضمحلال...

النسل الطيب

وقد رزق (رحمه الله) من والدتي (١) وهي الزوجة الوحيدة له من أول زواجه حتى وافاه الأجل ستة أولاد ذكور: محمد وعلي وحسن وحسين وصادق ومجتبى، لكن مات ولدان في صغرهما وهما علي والحسين، كما رزق سبع بنات بقيت ست منهن وماتت السابعة في صغرها واسمها عذراء.

من المعجزات

نقل لي الوالد (رحمه الله) أنه ظهر في حرم السيد محمد (عليه السلام) في أيام الزيارة معجزات رآها بنفسه، ومن جملتها: أنه أحياناً كان السيد محمد يصيح بلسان إنسان فيذكر مشكلات الناس الموجودين هناك، فمثلاً: يصيح بلسان رجل أو امرأة من الأعراب بدون اطلاع أحدهما على المشكلات، فيقول: (هذا عن لسان السيد محمد) أن فلاناً نذر لي خروفاً ولم يف بنذره إليّ وفلان نذر عدة خراف، وفلان نذر صيام أياماً معينة، وفلان مديون للناس بمبلغ من المال، وهكذا..

وكان ينقل لي من هذه القصص بعض العجائب: بعد التفحص تبين أن كل ما كان يقوله الإنسان عن لسان السيد محمد يكون صحيحاً وواقعياً!.

من تواضعه

كان الوالد (رحمه الله) يباشر بنفسه كثيراً من الأعمال المنزلية مع مهامه المرجعية الكثيرة ومسؤولياته الجمة..!، فقد اتفق أن أصبنا - أي كل من في الدار - بمرض الملاريا وكنا حينذاك عشرة أفراد باستثناء الوالد، وكانت إصابتنا شديدة جداً لدرجة الإغماء، وكان الوالد يذهب إلى الطبيب قبل طلوع الشمس ويأتي به إلينا وبعضنا نائمون وكان الوقت قانصاً شديد الحر وكان الطبيب يقوم بفحصنا واحداً تلو الآخر ثم يصف لنا الأعشاب القديمة، والوالدي يذهب إلى السوق ويشترى الأدوية وبعض الأغذية اللازمة كل يوم، وكان يباشر أمورنا لأن والدتي أيضاً كانت مريضة، فإن جميع من في الدار مرضوا باستثناء الوالد، وبعد انتهاء المرض ذهب الوالد إلى الطبيب وكان قريباً منا وسأل عن التطبيب والأدوية والأعشاب فكان ثمن الجميع نصف دينار وهو ما يعادل خمسمائة رغيف خبز مما يعادل كل أربعة منها أوقية واحدة أي أكثر من الكيلو غرام الواحد قليلاً.

١- هي العلوية السيدة (حليمة) عمرت ثلاثة وسبعين عاماً (١٣٢٣ - ١٣٩٦هـ) بنت السيد عبد الصاحب ابن آغا بزرگ، وأمه آغا بي بي بنت السيد المجدد الكبير الشيرازي صاحب فتوى التنبك الشهيرة. راجع كتاب (والدتي) للإمام المؤلف (دام ظله).

كما أن الوالد (رحمه الله) في أيام طفولة أختي زوجة السيد كاظم الخراساني (١) (رحمه الله) كان يباشر علاجها لأنها مرضت ثلاث سنوات لعين أصابتها، فقد كانت تمشي وعمرها ستة أشهر فمرضت وطال مرضها، وكان كل يوم يذهب الوالد بها إلى الطبيب في النجف الأشرف حتى شفيت بإذن الله. ومرة أخرى كان يذهب الوالد إلى الطبيب كل يوم لأجل مداواة أخي المرحوم السيد حسن (٢) من جراحات استعصت على العلاج، وطالت حوالي سنة وكانت تستدعي مراجعة الطبيب في كل يوم مرة. وهكذا الوالد كان يعمل كل هذه الأعمال بدون تأفف أو تضجر أو تعاجز.

قراءة العزاء للإمام الحسين (عليه السلام)

كما أن الوالد (رحمه الله) كان يقرأ العزاء الحسيني كل يوم في وقت فطور الصباح، فكنا نجتمع حوله وهو يقرأ التعزية من كتاب (منتهى الآمال) للقمي أو (جلاء العيون) للمجلسي، أو (وقائع الأيام) أو غيرهم، وكان يبكي ويبكي جميع الحاضرين، والحاضرون كانوا أفراد عائلته فقط. ولقد تعلم منه العم السيد ميرزا جعفر (رحمه الله) (٣) فن قراءة العزاء الحسيني وأخذ يقرأ في بعض المناسبات، وقال السيد ميرزا عبد الهادي (رحمه الله) (٤) للسيد ميرزا جعفر: إقرأ لنا بعض أشعار العزاء، ولم يكن يعرف أن السيد ميرزا جعفر يقرأ لعائلته في بعض الأيام، فقال له: إني لست منبرياً، قال السيد عبد الهادي: ولكنك مقبول عند الإمام الحسين (عليه السلام) فقد رأيت في عالم الرؤيا أن يوم القيامة قد قام وان الإمام الحسين (عليه السلام) اعتبرك من المنبريين حيث حذف اسم منبري كان قد انحرف وكتب اسمك مكان ذلك الاسم المحذوف.

١- آية الله السيد محمد كاظم ابن آية الله السيد جواد ابن آية الله العظمى السيد محمد باقر المدرسي، الذي أخذ بزمam المرجعية في خراسان.

ولد سماحته في أرض طوس المقدسة في سنة (١٣٢٩هـ)، تحتضنه عائلة عُرِفَت بالعلم والتقوى، وكان من أبرز تلامذة العالم العارف آية الله العظمى الميرزا محمد مهدي الغروي الأصفهاني وبعد أكثر من ١٥ سنة من تلقي دروس المعارف و ٢٥ سنة الدروس الحوزوية المعتادة، شاعت قسمة الله أن يصاهر (قدس سره) سماحة آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره)، ثم انتقل إلى كربلاء المقدسة، فاضت روحه الزكية إلى بارئها راضية مرضية في حين كان في قنوت صلاة الصبح، ودفن في صحن السيدة فاطمة المعصومة (عليها السلام) في مدينة قم المقدسة، وكان ذلك في فجر يوم الخميس (٢٥ / شوال / ١٤١٣هـ).

٢- آية الله السيد حسن بن السيد مهدي الشيرازي، ولد في مدينة النجف الأشرف عام (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م)، درس السطوح العليا على يد العلماء الكبار أمثال والده آية الله العظمى السيد مهدي الشيرازي وآية الله العظمى محمد هادي الميلاني وآية الله العظمى الشيخ محمد رضا الأصفهاني، أسس الحوزة العلمية الزينية في سوريا عام (١٣٩٣هـ) وكان يدرس فيها، اغتيل برصاصات البعث العراقي في لبنان عام (١٤٠٠هـ).

٣- السيد ميرزا جعفر الشيرازي (١٣٠٧-١٣٧٠هـ) دفن في روضة الشاه عبد العظيم الحسيني ب (الري) قرب طهران - إيران.

٤- آية الله العظمى السيد عبد الهادي بن إسماعيل الحسيني الشيرازي؛ ولد في مدينة سامراء عام (١٣٠٥هـ) تتلمذ عند المراجع العظام أمثال الشيخ محمد تقى الشيرازي قائد ثورة العشرين والآخوند الخراساني وشيخ الشريعة والسيد علي الشيرازي والميرزا النائيني، آلت إليه المرجعية والسيادة الدينية بعد السيد أبو الحسن الأصفهاني. توفي عام (١٣٨٢هـ) عن عمر يقارب ٧٧ سنة.

من عنايات المعصومين (عليهم السلام) ودعاء الوالد

إني لا أشك في إن ما وفقت له ماضياً وحاضراً قد كان ذلك بسبب دعاء الوالد (رحمه الله) لي وبركة الأئمة المعصومين (عليهم السلام) حيث أن الإمام الحسين (عليه السلام) وسائر المعصومين (عليهم السلام) لهم العناية المتزايدة والكرامات الكثيرة ليس في زمان حياتهم فحسب بل وحتى في هذا الزمان.

وكان لي صديق اسمه السيد جواد الكشوان قبل خمسين عاماً قال: عندما كنت طفلاً كان بستاننا قريباً من حرم الإمام الحسين (عليه السلام) فقال لي والدي ذات يوم: اذهب إلى حرم الإمام الحسين (عليه السلام) وقل لجديك - أي الإمام الحسين (عليه السلام) - إنا لا نملك شيئاً في هذا اليوم ولا نتتمكن من الغداء، يقول: فذهبت إلى حرم الإمام الحسين (عليه السلام) ومددت يدي في داخل الضريح وتصورت أن الإمام الحسين (عليه السلام) موجود هناك وأنه يعطيني، فقلت: يا جدي أبي قال: إنا في هذا اليوم لا نملك طعام الظهر فاعطنا شيئاً، وإذا بشيء يوضع في يدي ولما سحبت يدي ونظرت إليها رأيت أن زوجاً من الأقرات الذهبية في يدي، فذهبت به إلى الوالد فتعجب الوالد تعجباً كبيراً وأخذ القرط وباعه بثمن لا بأس به مما صار مصرفنا لأيام.

وهكذا فالمعجزات والكرامات التي تظهر من هذا البيت الرفيع بيت النبوة وموضع الرسالة (عليهم السلام) مما رآه أغلب الناس في مناسبات مختلفة تفوق التواتر.

وبهذه المناسبة لا بأس أن أنقل قضية أخرى وإن كانت القضايا التي جمعت عندي في هذا الباب كثيرة: قد سمعت بمرض أحد علماء طهران وهو من أصدقائنا، وأنه دخل المستشفى لكنني لم أعلم عنوانه في المستشفى وإنما اتصلت به بعدما عاد إلى بيته مشافئاً..

ثم قدم ذات يوم إلينا في قم المقدسة ونقل لي هذه القصة حيث قال:

كنت مبتلياً بداء السرطان مما ينس الأطباء من شفائي بعدما عجزوا من علاجي، ودخلت المستشفى حتى أموت هناك، وفي ذات ليلة دخل الأطباء غرفتي وقالوا: إنك تموت في سحر هذا اليوم فإذا كانت عندك وصية أوصي بها، وكان إلى جانبي شخص مسيحي أيضاً مبتلياً بنفس المرض (السرطان) ولما علمت بأنني سأموت أخذت في قراءة أشعار ترتبط بصاحب العصر (عجل الله تعالى فرجه) متوسلاً إليه بكل حرقه ولوعة وبكاء، وفي منتصف الليل وأنا في حالة النوم رأيت أن مجلساً عظيماً يضم كثيراً من العلماء أمثال الشيخ المفيد (رحمه الله) (١) وغيره إلى علمائنا في الزمن الحالي وهناك منبر موضوع، فصعد عليه شخص لم أره وكان نورانياً إلى أبعد حد ولم أعرف من هو، وقال أحد الجالسين له: يا رسول الله.

فبذلك عرفت أن الصاعد على المنبر هو رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ثم قال ذلك الشخص للرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله): إن هذا الرجل (وأشار إليّ) إنسان محسن وهو

١- أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان بن عبد السلام البغدادي؛ شيخ المشايخ والجلّة ورئيس رؤساء الملة، توفي (رحمه الله) في ليلة الثالث من شهر رمضان ببغداد سنة (٤١٣ هـ) وقبره بالقرب من أبي جعفر الجواد (عليه السلام) وكان مولده يوم الحادي عشر من ذي القعدة سنة (٣٣٦ هـ).

يفعل الخير لنا، فاسأل من الله شفاعه، قال: وكنت في كل شهر رمضان أهدي كتاب الله نسخة لرسول الله ونسخة لعلي أمير المؤمنين (عليه السلام) ونسخة لفاطمة الزهراء (عليها السلام).. وهكذا إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، وقرائين لأجل العلماء كالشيخ المفيد والسيد المرتضى^(١) وهكذا.. وفي كل شهر رمضان ما يقارب مائتين وخمسين قرآناً كنت أهدي لهم طيلة أيام حياتي.

فلما طلب ذلك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) دعا لشفائي والجالسون أمتوا على دعائه فقامت من المنام ولم أر أي أثر للمرض فيّ، فتعجبت وجاء الأطباء وقت السحر ليحملوا جنازتي إلى المغتسل وإذا بهم يروني صحيحاً سليماً لا أثر لمرض السرطان في بدني إطلاقاً، قال: والغريب أنهم ذهبوا إلى ذلك المريض المجاور لي، والمبتلى بالسرطان أيضاً وكان على دين النصارى فوجدوا أن سرطاناً أيضاً قد زال عنه وشفي تماماً ببركة رسول الله (صلى الله عليه وآله) فخرجنا أنا وهو من المستشفى في نفس اليوم مع دهشة وتعجب الأطباء بصورة غريبة.

من بركات كتاب الرحمن

هذه القصة نقلها لنا والدنا (رحمه الله) علماً بأن سماحته كان حافظاً للقرآن، وكان ملتزماً بأن يقرأ في كل يوم بعض أجزاء من القرآن عن ظهر القلب، فتحدث لنا قائلاً:

نقل لي أحد الصيادين المحترفين ذات يوم قوله: إني خرجت إلى الصحراء في مدينة سامراء المقدسة أبحث عن صيد حتى وجدت شيئاً يتحرك من بعيد، فوجهت فوهة بندقيتي نحو المتحرك تصوراً مني أنه فريسة، والعجيب أنه كلما حاولت إطلاق النار باتجاه الصيد وضغطت على الزناد كانت البندقية لا تطلق النار. ولكن لما كنت أغير اتجاه البندقية يميناً أو يساراً كانت البندقية تعمل وتطلق النار، ثم لما كنت أعود وأوجه فوهة بندقيتي نحو الصيد كانت البندقية تتعطل عن عملها مرة أخرى.

١- السيد المرتضى هو علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)، سيد علماء الأمة ومحبي آثار الأئمة، المشهور بالمرتضى والملقب عن جده المرتضى (عليه السلام) بعلم الهدى، الذي جمع من العلوم ما لم يجمعه أحد، وحاز من الفضائل ما توحّد به وتفرد، وأجمع على فضله المخالف والمؤلف واعترف بتقدمه كل سالف، صاحب المصنفات المشهورة التي كلها أصول وتأسيسات غير مسبوقة، وكان السيد (قدس الله روحه) نحيف الجسم وكان يقرأ مع أخيه الرضي على ابن نباتة صاحب الخطب وهما طفلان وحضر المفيد (قدس الله روحه) مجلس السيد يوماً فقام من موضعه وأجلسه فيه وجلس بين يديه فأشار المفيد بأن يدرّس في حضوره، وكان يعجبه كلامه إذا تكلم وكان السيد قد وقف قرية على كاغذ الفقهاء وحكاية رؤية المفيد في المنام فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأنها أتت بالحسن والحسين (عليهما السلام) وقولها له: علم ولدي هذين العلم، ومجيء فاطمة بنت الناصر بولديها الرضي والمرتضى في صبيحة ليلة المنام إلى المفيد وقولها له: علم ولدي هذين العلم مشهورة. توفي (رحمه الله) لخمس بقين من شهر ربيع الأول سنة (٤٣٦ هـ) وصلى عليه ابنه في داره ودفن فيها ثم نقل إلى جوار جده الحسين (عليه السلام) ونقل عنه أنه قال عند وفاته:

لئن كان حظي عافتي عن سعادتني***فإن رجائي واثق بحليم
وإن كنت من زاد التقية والتقى***فقيراً فقد أمسيت ضيف كريم
راجع سفينة البحار: ج ٣ ص ٣٦٨.

كررت ذلك مراراً وتكراراً دون جدوى، فقلت في نفسي: إن هذا لأمر عجيب لا يخلو من سرٍّ، فعليّ أن أقترّب من الصيد واكتشف سرّ الأمر.

فلما اقتربت من الصيد فوجئت بأنه إنسان وليس صيداً، فازداد تعجبي من ذلك، فدنوت منه ونقلت له القصة متسانلاً عن السرّ الكامن في توقف عمل البندقية مع سلامتها كلما وجهت فوهتها باتجاهه؟!.

فأجاب: الحقيقة إنني حافظ للقرآن وإن حافظ القرآن هو في حماية الله سبحانه وتعالى، ومن كان في حماية الله تعالى لا يصيبه أذى.

(أقول: إنني أحتمل أن صاحب القصة هو المرحوم والدي (قدس سره) لكن لم يذكر نفسه تأدياً).

التجلي في قبو الغيبة

نقل لنا أحد علماء قم المعمرين وكان قد التقى بوالدنا وعاشره؛ بأن المرحوم والدنا في ساعات العصر من أيام الجمعات كان يتوجه إلى سطح الدار في الصيف والشتاء غير مبال بالحر أو البرد، يتوسل بالإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) فيبكي ويتضرع، وقد تشرف بلقاء الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) ثلاث مرات: مرّة في القبو المقدس.

والثانية في مقبرة الأنبياء هود وصالح في النجف الأشرف. والمرة الثالثة في مدرج القبو المقدس حيث صادف نزول الوالد والإمام (عجل الله تعالى فرجه) يرتقي المدرج، ولا أعلم تفصيل ذلك باستثناء رؤيته للإمام (عجل الله تعالى فرجه) في نفس القبو. ولكن لم ينقل لنا والدنا المرحوم من ذلك شيئاً.

قال المتحدث المذكور في تفصيل قصة تشرف والدنا بلقاء الإمام الحجة (عجل الله تعالى فرجه) في قبو الغيبة:

بأن والدنا (أيام إقامته في مدينة سامراء) كان يذهب في الليالي لزيارة القبو المقدس ويبيت فيه حتى الصباح مشغلاً بالعبادة وقراءة الدعاء وتلاوة القرآن، وفي أيام الجمعة كان يبقى لقراءة دعاء الندبة ثم ينصرف بعدها إلى منزله، وحيث كانت سامراء خالية من الزوّار في أكثر أوقاتها، ولم يكن هناك من يأتي لزيارة القبو المقدس قال المتحدث المذكور نقلاً عن والدنا بأنه قال له:

كنت مطمئناً بعدم مجيء أحد لزيارة القبو المقدس، ولذلك كنتُ عند تشرفي للزيارة أغلق الباب على نفسي من الداخل لأكون خالي البال كامل التوجه إلى الله تعالى في دعائي وتوسلي بوليّه صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه).

وفي صباح يوم جمعة وأنا مشغول بقراءة دعاء الندبة وقد أغلقت الباب على نفسي، وصلت في الدعاء إلى هذه الفقرة: (وعرجت بروحه إلى سمائك) وإذا أنا بسيد جليل وهو جالس جنبي يشير إليّ بيده ويقول: (وعرجت به إلى سمائك) مكان: (وعرجت بروحه إلى سمائك).

فأعدتُ قراءة الفقرة كما أشار عليّ السيد الجليل وواصلتُ قراءتي للدعاء وأنا غافل تماماً عن عمق الواقع، وعن الحقيقة التي صادفتها، وعن إشارة السيد في تبديل الفقرة، وعن شخصية السيد نفسه، حتى إذا مضيتُ في

مواصلة الدعاء، وانقضت مدة يسيرة، وإذا بي ألتفتُ إلى نفسي متسائلاً: يا ترى من كان هذا السيد الجليل؟! ومن أين دخل القبو المقدس؟!.

ألسْتُ قد أغلقتُ الباب على نفسي بحيث لا يستطيع أحد الدخول؟!.

ألم أطمئن وأتيقن بعدم وجود أحد ما في القبو المقدس؟!.

وأخذت هذه الأفكار تشتبك وتدور في نفسي وتقودني إلى معرفة الواقع وكشف الحقيقة، وقد انتابتني القشعريرة وأخذت كل أعضائي ومفاصلي ترتجف بشدة، وقلبي يرتعش ويدقّ باضطراب وقوة، حتى إذا استطعت أن أحوّل وجهي إلى المكان الذي كان السيد الجليل قد جلس فيه لأرى وجهه، لم أرَ أحداً، وكلما فتشت عنه لم أجد في القبو المقدس أي شخص، فتيقنت أنه لم يكن إلا سيدي ومولاي صاحب العصر والزمان (عجل الله تعالى فرجه).

هذا ولا يخفى أن الفقرة في دعاء الندية منقولة بالوجهين: (وعرجت بروحه..) و (وعرجت به...).

أما وجه: (وعرجت به...) فواضح وعليه اتفاق الإمامية، إضافة إلى اعتراف العلم الحديث به وإثبات وقوعه، لأن الله تعالى عرج بنبيّه روحاً وجسداً إلى سمائه، إذ المعراج كان معراجاً جسمانياً، وليس معراجاً روحياً فقط كما يتفق للنامم الذي يرى الأحلام في منامه.

وأما وجه: (وعرجت بروحه) - لو كان النقل صحيحاً - فليس معناه: المعراج بالروح دون الجسد، بل معناه: المعراج بالجسم والروح معاً، لكن تلك الروح الخاصة التي خصها الله تعالى بنبيّه والمعصومين من أهل بيته (عليهم السلام) وبتلك الروح القدسية استطاع رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يعرج بجسمه إلى السماء وإن يرى ملكوت السماوات والأرض.

هذا؛ إضافة إلى أن المتعارف عند أهل اللغة واللسان العربي أنهم أحياناً يستخدمون مصطلح (الروح) يريدون بها الجسم والروح معاً، كما ويطلقون (الجسم) ويريدون به الجسم والروح معاً أيضاً، فمثلاً لو اتكى شخص على آخر يقول له: لا ترمي بروحك عليّ، ويقولون: أنا جنت بروحي، أو ذهبت بروحي، وهكذا..

المرجعية: مسؤولية كبرى

كنت بصحبة والدي المرحوم السيد ميرزا مهدي الشيرازي، وابن عمي المرحوم السيد أبو القاسم الشيرازي، في مجلس كان يضم المرحوم السيد عبد الهادي الشيرازي أيضاً، وفي تلك الأثناء جاءنا خبر وفاة المرجع الديني الكبير السيد أبو الحسن الأصفهاني (قدس سره الشريف) (١) فتأسفنا جميعاً وتأثرنا بالخبر المفجع، غير أن الذي تغير لونه واضطربت أحواله أكثر من كل الحاضرين هو الميرزا السيد عبد الهادي الشيرازي (قدس

١- آية الله العظمى السيد أبو الحسن محمد الموسوي الأصفهاني (١٢٧٧-١٣٦٥هـ)، آلت إليه المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ محمد حسين النائيني (رحمه الله) سنة (١٣٥٥هـ)، شارك في الحركة الدستورية في إيران كما شارك في ثورة العشرين (١٣٣٨هـ)، وعارض تنصيب فيصل الأول ملكاً على العراق، كان زعيماً للحوزة العلمية في النجف الأشرف، له عدة مؤلفات أشهرها (وسيلة النجاة).

سره) حيث إنه كان مرشحاً من قبل بعض خواص العلماء وأهل الرأي والنظر للزعامة العامة والمرجعية الدينية، وخوفاً من تلك المسؤولية الجسيمة بدا الاضطراب واضحاً عليه وهو يقول مردداً: أستجير بالله تعالى مما أخاف وأحذر، إني يا ربّ أخاف أن تصلني مسؤولية الزعامة والمرجعية، وأحذر من عبئها الثقيل ومسؤوليتها الكبرى، وهكذا بقي مضطرباً من ألم المصاب وخوف المسؤولية.

ومعه كل الحق في ذلك، فإن مصاب فقد مرجع كبير كالسيد الاصفهاني (قدس سره) كان كبيراً ومؤملاً، كما أن عبئ المرجعية الشيعية والزعامة الدينية العامة كبير وثقيل أيضاً، ومن المعلوم أن من يخشى شيئاً، يأخذ حذره منه ويتهياً له، ويتحفظ عن مساقطه ومهاويه بقدر استطاعته، وهكذا كان (قدس سره) استطاع أيام مرجعيته العليا بعد السيد البروجردي (قدس سره) من بث روح التقوى والورع، ونشر الثقافة الدينية والأخلاق الإسلامية في أوساط المسلمين وبخاصة الحوزات الدينية والعلمية المباركة.

اعتياد الخير

نقل لي والدي (قدس سره الشريف) عن ذكريات طفولته القصة التالية قائلاً:

إني لا أنسى عندما كنت صغيراً أدرج في البيت بمنظر ومرأى من والدتي (رحمها الله) تعتني بتربيتي وتأديبي غاية الاعتناء أنها كانت من الصالحات القانتات، وعلى إثر ذلك كان لا يفوتها نافلة الليل وتلاوة القرآن بالأسحار، وكانت إذا قامت لصلاة الليل والتهجد فيه أيقظتني معها، واصطحبتني إلى مصلاها، وأفعدتني إلى جنبها، وكانت توصيني بالانتباه إليها وعدم النوم أو الغفلة عنها.

وحيث كنت صغيراً يغلب عليّ النوم، ولم أكن في سنّ أقدر على الصلاة معها، فكانت تجعل أمامي ظرفاً فيه شيء من الحمص والزبيب لأتشغل عن النوم بأكلها واللعب بها، وبالفعل كنت ألهو بها عن النوم، وبهذا الأسلوب كانت تعلمني والدتي (رحمها الله تعالى) القيام في الأسحار، وتعودني على الانتباه المبكر قبل الفجر لأداء نافلة الليل والتهجد فيه، رغم أنني كنت صغيراً ويغلبني النوم، وربما كنت لا أستطيع المشي عندما توقظني والدتي في السحر من غلبة النعاس، لكنها كانت تتحمل كل ذلك مني برحابة صدر، وانبساط وجه، وطيبة لسان، وطهارة قلب، حتى اعتدت قيام الأسحار بلا مشقة أو عناء.

الزهد والتقوى

نقل لي ابن العم: السيد ميرزا أبو القاسم الشيرازي (قدس سره) أنهم أيام تواجدهم لطلب العلم في مدينة سامراء، كانوا يذهبون في أيام الربيع خارج المدينة للاصطياف والنزهة، حيث أن أمطار الربيع كانت تملأ الصحراء بالورود والزهور وكان لها أبهج المناظر، وأطيب أريج.

قال: وكنا نصرّ على والدك: سماحة السيد ميرزا مهدي (قدس سره) في أن يرافقنا إلى خارج المدينة للإرتياح، لكنه كان يأبى ويتعلل بالدرس والبحث.

حتى إذا كان يوم الجمعة، قلنا له: لابد أن ترافقنا للتنزه فإنه لا درس في هذا اليوم.
 قال: إن لم يكن عندي درس فعندي مطالعة وتحضير.
 قلنا: يمكن لك أن تطالع في الصحراء حيث المتنزه؟
 قال: عندي برنامج حفظ القرآن الحكيم.
 قلنا: ويمكنك أيضاً أن تحفظ هناك.
 قال: لكنني في عصر الجمعة أريد زيارة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في القبو المقدس.
 وهنا قال ابن العم: فثارت حفيظتي وقلت له: إذن قل منذ البداية إنني لا أريد الخروج معكم.

العلم والعمل

لقد كان الوالد (قدس سره) يحثني كثيراً على المطالعة ومواصلة الدراسة، ويقول لي عن نفسه: إنه كان أبان اشتغاله بالدرس لا ينام في الليل والنهار إلا ما يقارب الساعتين فقط، وكان إلى جانب الدرس يحفظ القرآن على ظهر القلب، وكان قد خصص وقتاً لذلك في الليل وعلى ضوء القمر، حيث لم يكن آنذاك مصابيح وكانت أحوالهم المادية رقيقة لا تسمح لهم بتوفير سراج للمطالعة في ضوئه، وكان في النهار مشغولاً بالدرس والبحث ولذلك كان لا يتمكن من حفظ القرآن إلا ليلاً.

وكان (قدس سره) يقول أنه قد تعاهد مع نفسه منذ أوائل بلوغه أن يجتنب بتوفيق من الله تعالى كل ما يمكن أن يبتلي بها طالب العلم من حبّ الصدارة في المجالس، وحبّ الغلبة على المناظر في أثناء البحث، وحبّ الجاه والمقام الاجتماعي، وبيع الآخرة بالدنيا، وما أشبه ذلك.. وقد رأيت به بنفسه أنه (قدس سره) كان ملتزماً بعهده، موفياً لوعده، حتى نهاية حياته.

وقد صادف ذات مرة أن كنت بخدمته وذلك حين رجوعه من النجف الأشرف إلى كربلاء المقدسة بعد أن تشرفنا بزيارة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في إحدى المناسبات الخاصة بزيارته (عليه السلام)، إذ تعطلت السيارة في الطريق قرب (النخيلة) لنفاذ وقودها، فأخذ الوالد (قدس سره) يتمشى ويتلو القرآن عن ظهر الغيب حفظاً - حيث كان حافظاً له - واستمر حتى الفجر على عمله ذلك، ولما سألته عن المقدار الذي قرأه من القرآن، قال: ثمانية أجزاء.

وقد كان (قدس سره) ملتزماً بترك النوم بين الطلوعين، وكان يتلو كل يوم بعد صلاة الصبح جزءاً من القرآن الكريم، بالإضافة إلى الأدعية اليومية المأثورة.

وكانت من سيرته: أن ينقل صلاة الجماعة في أيام الزيارة - حيث يتوافد الزوار على مدينة كربلاء المقدسة - من الصحن الشريف إلى المسجد أو الحسينية، وكان يقول: لا أحب أن أراحم الزائرين.

وكان في أوائل إمامته لصلاة الجماعة يصلي صلاة الصبح في الحرم الحسيني (عليه السلام) خلف الضريح المقدس، ثم نقل صلاة الجماعة من ذلك المكان الطاهر حتى لا يسبب مزاحمة الزائرين.

وكان (قدس سره) قد ارتبطت روحه مع الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) حتى أنه كان لا يغيب عن ذهنه، ولا يغفل عن ذكره، وكان يذهب عصر كل جمعة إلى مكان خلوة من سطح دار أو نحوه، ويتوجه إلى

الإمام (عجل الله تعالى فرجه) بقلبه ويناجيه بسرّه، ويتوسل إلى الله تعالى بتعجيل فرجه وتسهيل ظهوره بعد قراءة الأدعية الواردة في ذلك.

وكان (قدس سره) حليماً صبوراً على أذى الناس، ويعفو عنهم، ففي ذات مرة كتب إليه شخص كتاباً وجه إليه فيه شتائم كثيرة، وكان قد صدره بكلمة قاسية جداً، فتغير لونه من مطالعته، لكنه أجرى الحوقلة على لسانه وسرى عنه.

المرجعية رافة ورحمة

كان السيد الوالد (قدس سره) أبان سيطرة الشيوعيين على العراق واشتغالهم بالنهب والتهتك وسفك الدماء البريئة يقول:

إن دم البريء لغم موقوت يتفجر فيدكّ عروش الظالمين ويزيل حكمهم وملكهم، وإنني أتمنى أن لو كنت أقدر على أن أكف القتل عن الجميع وأكون أنا المقتول على أيديهم مكان من قتلوا فيحدث قتلي ضجة في الأوساط ويكون ذلك سبباً لزوال سيطرتهم وخلص الشعب العراقي المسلم من ظلمهم.

وكان يدمي ذلك قلبه إلى أن استطاع بعد عقد الاتفاق مع علماء النجف الأشرف في النهضة ضد الشيوعيين، وقد توفقوا للقضاء عليهم بإذن الله تعالى، فزال عن صدر العراق المسلم كابوسهم المرعب والحمد لله رب العالمين.

أنفع الأعمال

قال لي أحد الأخيار: أنه رأى والدي السيد ميرزا مهدي (قدس سره) في المنام بعد وفاته، وهو بحالة جيدة يغبط لها، قال: فدنوت منه وسلمت عليه وسألته: ما كان أنفع الأعمال الدنيوية التي وجدتم ثوابها في الدار الآخرة؟.

قال: كان أنفع الأعمال لي هو ما كنت أعطيه للفقراء الذين يقصدون باب الدار يريدون مني مبالغ قليلة يستعينون بها على أمورهم - كما هي عادة الفقراء - فإن إسعافهم في ذلك اليوم كان أنفع الأعمال لي هذا اليوم. ولعله هذا إرشاد وتحريض إلى ما جاء في الروايات من تحريض الناس على ترك ردّ الفقير، فقد ورد الخبر بعدم ردّ السائل ولو كان على ظهر فرس^(١)، كما ورد الخبر بأن الله تبارك وتعالى خلق الجنة لأناس وقّفوا أنفسهم لخدمة الناس وإسعاف الفقراء والمساكين.

١- عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): (أعط السائل ولو كان على ظهر فرس) وسائل الشيعة: ج ٦ ص ٢٩٠ ب ٢٢

نصيبه من الدنيا

لقد كان أبي (رحمه الله) عازفاً عن الدنيا عفيفاً زاهداً عما في أيدي الناس، ولذا كان نصيبه من الدنيا أقل القليل، وكان بيتنا متواضعاً جداً من حيث الأثاث ومن حيث أسباب الرفاهية.

مرض والدي

مضت الأيام ودارت الأعوام ونحن في شدة وضيق حتى سقط والدي مريضاً، ينس الأطباء من شفائه، وطال به المرض واشتدت الحالة وازداد المرض تفاقمًا.

وكانت والدي تتلقى كل ذلك بصدر رحب ووجه باسم ورضى بقضاء الله تعالى، فكانت تكدح لأجل البيت، وتجمع شمل الأولاد، وتسهر إلى جنب زوجها المريض، وتتلقى العائدين والزائرين بكل بشاشة، ولم تكن تشتكي ولا تظهر الجزع ولا تقول إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى.

الهجرة إلى كربلاء المقدسة

هكذا قضينا الأيام حتى وفاة زعيم أسرنا المرجع الديني السيد ميرزا علي آغا الشيرازي خلف المجدد الشيرازي الكبير السيد ميرزا محمد حسن (رحمه الله).

وهاجرنا إلى مدينة كربلاء المقدسة بطلب من المرجع الديني السيد الحاج آغا حسين القمي (رحمه الله). كان وضعنا في مدينة كربلاء المقدسة مثلها في مدينة النجف الأشرف، إلا أن الرخاء في البلد الجديد كان أكثر، ولكن الحال بقي كما كان من ضيق الدار وضيق ذات اليد وضيق في سائر الأمور المعيشية. وكانت الأم مستمرة دون كلل في خدمة البيت حيث لا ماء ولا كهرباء ولا مائدة خياطة ولا وسائل راحة.. كانت تساعد الأب في النفقة حيث تتلقى بعض المعونات من أقربائها أو الجيران بعنوان الهدية فتصرفها في شؤون البيت وفي شؤون الأولاد الذين كبروا تدريجاً وكبرت مسؤولياتهم واحتاجوا إلى كل شيء. وعندما سافر والدي (رحمه الله) إلى خراسان - بصحبة المرحوم القمي (رحمه الله) - كانت هي المحور الرئيسي في إدارة البيت طيلة غياب الوالد، فكانت تدير شؤون البيت الداخلية وتكلف من يشتري الحاجات المنزلية.

النفس الحنونة

ولما مرض أخي حسين وصف الطبيب له بعض الأدوية أمر بأن نعطيه الدواء طوال الليل، إلا أننا فوجئنا بوفاته في الصباح فذهب الوالد إلى الطبيب مستفسراً عن سبب وفاته مع العلم أنه لم يكن مرضه صعب العلاج،

بل كانت حمى عادية؟ قال الطبيب: إن اضطراب الولد عند تناوله الدواء كان يكشف عن عدم ملائمة الدواء له، فكان من الأفضل أن لا تعطوه الدواء مطلقاً، فإن الدواء سبب وفاته.

وهل يملك الإنسان أن لا يعطي الدواء للمريض بعد وصف الطبيب له؟!.

وبهذه البساطة البلهاء تبرء الطبيب عن اشتباهه في إعطاء الدواء.

وما هو العمل؟.

فالقضاء قد نفذ.

ومات الطفل.

وأذكر أن أبي كيف كان يجمع ملابس وأثاث أخي المتوفى ليغيبها عن عيني والدتي، لكن هيهات أن يؤثر ذلك في ذاكرة الوالدة شيئاً.

الفاجعة الأليمة

وعندما استقرّ بنا الأمر في مدينة كربلاء حيث ألفت المرجعية زمامها إلى والدي (رحمه الله) فلم يدم الأمر طويلاً، حتى اختطفت المنون والدي، بعد أن تمرض مرضاً دام سنوات.

وقد كانت الأقدار بمرصد لوالدتي حين اختطفت يد المنية والدي (رحمه الله) بالموت الفجئة فبقيت بلا وال ولا كفيل.

مقتطفات طبية

كان أكثر تتلمذي على يد سيدي الوالد (رحمه الله) فقد درست عنده (السيوطي) في النحو، و (الحاشية) في المنطق، و (المعالم) في الأصول، و (شرح اللمعة) في الفقه و (مقامات الحريري) في الأدب، و (المطول) في البلاغة، و (خلاصة الحساب) في الحساب، و درست عنده في المحاضرات الاجتهادية في (درس الخارج): الرسائل الفقهية التي تشمل المكاسب، والطهارة، والصلاة، والصوم، والخمس والحج، ورسائل متفرقة أخرى.

مواقف الصمود

في عهود المد الأحمر بعد ثورة (١٤) تموز؛ كانت مدينة كربلاء المقدسة تقاوم الإلحاد والانحراف بكل صلابة وقوة، ووقفت ذلك الموقف المشرف الذي بسببه انحسر المد عن كل العراق، وحيث أن آية الله السيد الحكيم (رحمه الله) أضطهد في النجف الأشرف بسبب بعض العناصر الشريرة، أرسل والدي (رحمه الله) إليه بعض ذويه يدعوهم للانتقال إلى مدينة كربلاء المقدسة والإقامة فيها، حتى يفرج الله سبحانه علينا بنصره، ولبي السيد الحكيم دعوة الوالد ولما قدم إلى كربلاء، قدم الوالد مكان صلاته في صحن الإمام الحسين (عليه السلام)

إليه حيث صلى هناك واحتفى أهالي كربلاء الكرام بالسيد (قدس سره) (١).

ورع الفقيد

لقد كان (رحمه الله) على قدر هائل من الورع والتقوى والحذر من كل ما كره الله، حتى أنه لم يكن يقبل مهمة تولي الموقوفات، وولاية الأيتام معتذراً بأنه لا يستطيع النهوض بها جميعاً، ولا يحب أن يتعهد بشيء ثم يعهد به إلى شخص آخر، وكان ورعه مضرب الأمثال لدرجة أنه كان يخشى إنفاق الوجوه الشرعية في بيته إلا إذا ألحت به الحاجة الماسة بل كان يستغني عنها - مهما استطاع - بأمواله الشخصية التي كانت شحيحة عليه أحياناً.

وقد كان أحد الأخيار يروم التقليد بعد الحاج آقا حسين القمي، فسأل الحاج ميرزا علي الشيرازي (وهو أطول الأسرة الشيرازية عمراً وأكثر إشرافاً على حياة الفقيد):
هل السيد ميرزا مهدي رجل عادل يصح تقليده؟
فأجاب: لقد أشرفت على حياته منذ ولادته فلم أر منه مكروهاً ودع عنك الحرام.
إن الذين عاشروه بعض حياتهم يذكرون له نوادر قد تبلغ مصاف الأساطير في حين أنها حقائق لمسها عشرات الأشخاص حتى الآن.

المواظبة على قيام الليل

كان المرحوم الوالد (رحمه الله) مواظباً على قيام الليل حتى آخر أيام حياته، كما أنه كان كثير الدعاء والابتغال والتضرع وقراءة القرآن وما أشبه.

غضّ البصر

كان المرحوم الوالد (رحمه الله) ينقل عن عمّي السيد ميرزا عبد الله أنه قال: إنني مع طول ملازمتي للمرحوم الشيرازي لم أر باطن عينيه إلا مرتين فقط، وذلك لمواظبته على غضّ البصر والتفكير والذكر والتوجه إلى عالم آخر.

١- من كتاب (عشت في كربلاء): ص ٣٣.

ما تلقاه الوالد على أيدي الحكام

كان محل إقامة المرحوم والدي (قدس سره) في مدينة سامراء، فتعرض للمطاردة في الحرب العالمية الثانية حتى اضطر للسفر إلى مدينة الكاظمية، قال عن حياته في مدينة الكاظمية: (بقيت في مدينة الكاظمية ستة أشهر ولم يكن لنا قوت إلا التمر الزهدي والقثاء، وقد استولى علينا القحط حتى أصبحنا لا نستطيع الحصول على الطعام إلا على رغيف من الخبز في اليوم الواحد، وكنا ندخر هذا الرغيف للوالدة لأنها كانت مريضة وكانت بحاجة إلى رعاية خاصة).

ثم انتقل الوالد إلى مدينة كربلاء المقدسة وأصبح بمعية خاله الميرزا الثاني قائد ثورة العشرين، يعاضده ويسانده في أمور الثورة، وبعد موت الميرزا بالسّم انتقل الوالد إلى مدينة النجف الأشرف، وبقي هناك حتى وفاة خالي السيد ميرزا علي ابن السيد المجدد الشيرازي، فانتقل مرة أخرى إلى مدينة كربلاء المقدسة بعد مطالبة ملحة من قبل السيد حسين القمي (قدس سره) وبقي هناك حتى وافاه الأجل في عام ١٣٨٠ للهجرة الذي كان عام حزن وأسى في العالم الإسلامي حيث فقد أربعة من أعلام الدين والتشيع هم الشيخ محمد الخطيب، ثم المرحوم الوالد، ثم السيد آغا مير القزويني، ورابعهم كان السيد البروجردى رحمة الله عليهم جميعاً.

رؤيا الوالد وإصابته بالسكتة

رأى المرحوم والدنا في منامه - قبل أن يصاب بالسكتة القلبية وينجو منها - إن إحدى منائر ضريح الإمام الحسين (عليه السلام) قد سقطت، وأن الناس بعد جهد جهيد أعادوا المنارة إلى محلها، ثم أصيب والدنا بالسكتة وعوفي منها، فقال المفسرون: إن سقوط المنارة هو دلالة على مرضه، وإن دعاء الناس الذي كان في الرؤيا عبارة عن مجيء الناس، وإعادتهم المنارة إلى محلها.

خاتمة الصالحين

في غداة كل يوم من أول الشهر كان المرحوم والدي يعطيني مبلغاً من المال ويأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي المسؤول عن تقسيم وتوزيع الرواتب الشهرية للطلبة ليتم توزيع هذا المال على الطلبة المتواجدين في كربلاء المقدسة، وكان هذا دأب والدي (قدس سره) في صباح كل يوم من أوائل الشهور العربية. ولكن ذات يوم من الأيام وكان يصادف ٢٨ شعبان من سنة (١٣٨٠ هـ) طلبني والدي ودفع لي ما كان يدفعه إليّ من المال صباح كل أول شهر، وأمرني بتسليمه إلى المرحوم الشيخ محمد الكرباسي ليوزعه على الطلبة. فاستغربت الأمر وقلت لسماحته: سيدي نحن في أواخر الشهر الحالي، ولم يحلّ علينا الشهر الجديد بعد. فأجابني سماحته قائلاً: نعم، وإنني أعلم ذلك، ولكن ليس عليك إلا أن تسرع بالمال وتسلمه إلى الشيخ. ثم أخرج من جيبه بعض الأوراق التي تحمل أجوبة بعض الاستفتاءات التي كان قد أجاب عليها ودفعها إليّ

وأمرني بتسليمها إلى أصحابها.

ثم اتجه إلى محل الوضوء ليتهيأ للصلاة، وكان الوقت قريب المغرب، تركته وهو يتوضأ وإذا بصوت شقيقتي يلفتني إليه وهي تقول: أخي.. يا أخي.. أنظر ماذا أصاب والدنا؟! فأسرعت إليه فوجدته مصاباً بالنوبة القلبية وهو على الحوض يتوضأ، فاحتضنته ووضعت على فرش متواضع أعد لأجله، ثم استدعينا الأطباء لمعالجته، فلما أجروا عليه الفحوصات الطبية أعلنوا أسفهم وعذرهم عن شفائه، لأن الفحوصات كشفت عن مفارقتة للحياة وهو في أثناء الوضوء وقد غسل يده اليمنى. ومما يبدو لي حسب هذه الواقعة المشهودة أن سماحته (رحمه الله) كان مستلهماً، أو أنه رأى طيفاً في منامه يخبره عن ذلك.

وكيف كان: فإن هذا الأمر حسب تصوّرِي لم يكن أمراً عادياً، وإنما كان يرتبط نوعاً ما بعالم ما وراء الطبيعة والأمور الغيبية، إذ كان ذلك التصرف خلاف عاداته، وإنما كانت عاداته كما قلت سابقاً: أن يدفع لي المال في الصباح المبكر من أول كل شهر لأسلمه إلى الشيخ حتى يتم توزيعه على الطلبة (١).

قم المقدسه

محمد الشيرازي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، أما بعد:

فأنا صادق بن المهدي الحسيني الشيرازي، أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لي ولوالدي ولجميع المؤمنين والمؤمنات.

حيث طلب بعض المؤمنين وكرر الطلب أن أذكر لهم عدداً مما أستحضره من القصص الأخلاقية المتعلقة بالسيرة الذاتية للمغفور له الوالد السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي قدس الله سره. فها أنا ذا ألبي هذا الطلب لعدة أمور:

أولاً: إن هذا لعله يكون من مصاديق بر الوالدين والإحسان إليهما، كما ورد في الحديث الشريف: (برهما

١- ينقل عن الخطيب الشهير المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي (رحمه الله) أنه أخبر سماعة آية الله العظمى السيد ميرزا مهدي الشيرازي (قدس سره) وذلك قبل وفاة السيد بثلاثة أيام، بأنه قد رأى في منامه السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وهي (عليها السلام) تقول له: إنت ولدنا السيد ميرزا مهدي الشيرازي وقل له: بأن أمك الزهراء تقول لك: إنك ضيف علينا بعد ثلاثة أيام. فلما أخبر الشيخ السيد بذلك تهدلت دموع السيد على خديه وأخذ يبكي ويقول: كيف بي ويداي من الحسنات خالية، يبكي وهو يكرر العبارة مراراً، وذلك مع ما كان عليه من الزهد والتقوى وخدمة الإسلام والمسلمين. وكان كما أخبر به الشيخ الكعبي (رحمه الله)، حيث أنه لم تمض على السيد إلا ثلاثة أيام وإذا بالقضية المذكورة تتفق في آخر ساعات من اليوم الثالث، فيذهب وهو في حالة إسباغ الوضوء إلى لقاء ربه ليحلّ ضيفاً على أمه الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وآبائه الطاهرين (عليهم السلام).

حيين وميتين)(١).

ثانياً: لعل هذه القصص تكون عبرة نافعة في هداية الناس إلى معالم الأخلاق.

ثالثاً: إنه كان تلبية لرغبة عدد من المؤمنين بعد إلحاحهم وإصرارهم.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لذلك كله، ويدخر ثوابه لي يوم لا ينفع مال ولا بنون، والله نعم المولى ونعم الوكيل.

طموح ليس له حدود

كنت في أحد الأيام متشرفاً بخدمة المرحوم الوالد وهو في طريقه لأداء صلاة الجماعة - وأتذكر جيداً أنه كان قبيل المغرب في صحن الإمام الحسين (عليه السلام) - إذ مرّ بالمرحوم الوالد رجل رثّ الثياب، تبدو عليه آثار الفقر والضعف، فسلم عليه وانحنى يقبل يده ثم انصرف، فلما انصرف الرجل أخذ المرحوم الوالد يتمتم كهينة من يخاطب نفسه، ولكنني كنت قريباً منه فسمعتة يقول: (أعوذ بالله أن اضطر في يوم القيامة لتواضع لمن كانوا يتواضعون لي في الدنيا)، وكان تعبيراً انتقش في قلبي ولازال وبعد مضي ما يتجاوز أربعين سنة ولعله أكثر من خمس وأربعين سنة أتذكر خصوصيات هذه الحادثة ودقائقها مكاناً وزماناً وخصوصياتها الأخرى وكأنه - كما فهمت في نفس الوقت وما زلت أعتقد - كان يقصد المعنى الآتي:

أن لا تكون نية إنسان يقبل يدي ويتواضع لي أفضل من عملي ونيتي عند الخالق، فقد يستعظمني في الحياة الدنيا لما أنا عليه، بينما يكون عند الله سبحانه وتعالى أعظم قدراً مني وأقرب منزلة لديه.

الوادي الأيمن

ومرة أخرى أيضاً كنت بصحبة المرحوم الوالد (رحمه الله) وإذا بشيخ ذو لحية بيضاء يمرّ به، قد صادف أن رأيته عدة مرات وكنت أعرفه وكان بادياً عليه سيماء الزهد والصلاح والتقوى، ولعله من أولياء الله، وبالرغم من لقائي به عشرات المرات لكنني لم أر عنه ولم أسمع من نقل عنه شيئاً ينافي الإيمان والعدالة أو حتى المروءة، فبادر الشيخ بالسلام على المرحوم الوالد (رحمه الله) وقال بلهجة شديدة للمرحوم الوالد: أليس هذا ما يسمى بـ (الوادي الأيمن)؟!.

لأن أرض كربلاء المقدسة تسمى بـ (الوادي الأيمن)، مثلما تسمى أرض النجف الأشرف بـ (وادي السلام).

فقال له الوالد: نعم.

فقال للوالد: إذن لماذا يعذبون بعض الأموات في هذه الأرض؟ - لعله كان يقصد الملائكة الموكلة ببعض

١- راجع وسائل الشيعة: ج ٥ ص ٣٦٥ ب ١٢ ح ١ وفيه: (ما يمنع الرجل منكم أن يبر والديه حيين وميتين).

الأموات -.

ثم قال للوالد: أومروهم ليخرجوا أهل العذاب من هذه الأرض ليعذبوا في غيرها.
وعندها لم ينطق الوالد (رحمه الله) بكلمة ولكن نظر إليه الشيخ نظرة كان يرجو منه الاستجابة لما ذكره، ثم انصرف الشيخ.

الاعتماد على النفس

ذات مرة في السنوات الأخيرة من عمر المرحوم الوالد، كان ينزل من مدرج الغرفة ولعله كان في أثناء السحر عند الظلام فسقط على ساقيه وأصيبت قدمه وابتلى بالآلام عدة أيام على أثر الرض في القدم أو مشكل في أعصابها، فكانت عندها صلاته من جلوس، لأنه لا يستطيع القيام أو الاستناد على قدميه بسبب تلك الحادثة. وفي يوم من الأيام كنت خارج البيت لمتابعة الدروس؛ وباقتراب الظهيرة عدت إلى المنزل فرأيت المرحوم الوالد - وكان آنذاك قد أذن المؤذن الظهر - جالساً على سجاده مستقبلاً القبلة كأنه متوضئاً ومتهيناً للصلاة، فرأيت أنه يتأمل ولا يقوم للصلاة، لأنني مع إخواني جميعاً نعرف هذا الأمر من المرحوم الوالد أنه كانت عاداته أن لا يأمر أحداً من أولاده بشيء مما يخصه من الأمور، بل حتى لا يطلب..

أنني لأتذكر أنه بالرغم من كونه في السنين الأخيرة من عمره كان متقدماً في السن ومبتلىً بعدة أمراض، وضعيف البنية، ولا أذكر حتى لمرة واحدة أنه أمرني بشيء مما يخصه من الأمور حتى أن أقدم له إناء الماء أو أعمل له شيئاً مما يخصه.

وحيث كنا نعرف هذا الخلق الرفيع فيه.. ورأيت جالساً مستقبلاً القبلة وهو متأمل ولا يقوم إلى الصلاة، قلت له: هل لكم أمر أقوم به؟

قال: معك لا.

وهذه أيضاً التفاتة إلى واحدة من مكرمات أخلاقه حيث كان (رحمة الله عليه) مقيداً نفسه بأن لا يكذب ولا يقول شيئاً يحتمل أن يكون خارجاً عن حدود الدقة العقلية، حتى أنه لما قال لي: (معك لا) استظهرت من هذا الكلام أنه يحتاج إلى شيء، فأعدت عليه الكلام وقلت له:

أنا الآن لا يشغلني شاغل، لا درس ولا بحث، ففيم تتأملون، فلماذا لا تقومون للصلاة؟

قال: الحمد لله تحسن وضع قدمي وتضائل ألمها، وأفكر هل تكلفني أن أصلي من قيام أم لا؟ فإني أستصعب الصلاة من جلوس.

فاقتربت عليه أنا هذا الاقتراح:

فقلت له: أنا الآن لا عمل لي، وإذا أحببتكم أن أكون معكم حتى آخذ بيدكم عند القيام في الركعات فأنا بخدمتكم. لأنه كما هو المعروف بين الفقهاء أن القيام بالمعنى المصدري ليس من أجزاء الصلاة، بل القيام بالمعنى الاسم المصدري هو جزء للصلاة، أي بما معناه: يجوز للشخص حتى اختياراً أن يعتمد على شيء فيقوم من جلوسه في أثناء الصلاة، بالطبع إذا كان الحال وهو قائم يقرأ القراءة الواجبة أو يسبح التسبيح الواجب - أو حتى المستحب على قول البعض - لا يجوز له أن يعتمد ويجب عليه الاستقلال في الصلاة.

فأنا قلت له: إذا أحببتكم أن أكون عندكم لأخذ بيدكم عندما تكملون السجدين وتنوون القيام للركعات التالية؟، فلم يجبني بكلمة، ولكنني قرأت في أسارير وجهه أنه لم يرحب بهذا الاقتراح، وكررت عليه كلامي.. فأجابني بقوله - ولا أزال أتذكر الحروف والكلمات -: أنا لا أحب أن أكلفك بهذا الأمر - ويسميه (تكليف!) - ولكن لما اقترحت علي تلك الفكرة تسائلت هل يجب علي القبول أم لا؟.

وحقيقة كل واحدة من هذه المواقف المعتبرة في تلك القصص خير درس كانت ولا تزال لي، كلما أتذكر هذه الأمور، وأقارن بين نفسي وتلك النفس الرفيعة والتربية العظيمة التي كان عليها المرحوم الوالد (رحمه الله).

ولكن بالنتيجة لحصول الشبهة عنده في استطاعته الصلاة من قيام بلا عذر الآن مع تبرعي القيام بهذا الأمر، أدى صلاة الظهر والعصر من قيام وكنت آخذاً بيده.

وكانت هذه هي المرة الأولى والأخيرة لعلها في تصوري سمح لي فيها القيام بمثل هذا الموقف، لأنه (طاب ثراه) كان لا يحب أن يكلفنا حتى بهذا المقدار من الأمور البسيطة.

ولا يغرب عن مخيلتي عندما كان في نفس تلك العلة حيث إيلام قدمه وصعوبة القيام والمشي بعدما تحسنت حالته قليلاً، وفي أيام الصيف حيث كنا في الليل نرتقي إلى سطح المنزل للنوم، وبقي لمدة من الزمن لا يأتي معنا إلى السطح لعدم استطاعته، ولما تحسنت قدمه قرر أن يصعد بنفسه الدرج، ولكنه طبعاً بعد إصرار منا بمساعدته حتى يصعد السلم بتأن وبدون أذى.

وكنت ذات ليلة متقدماً أمامه لمساعدته على ارتقاء السلم، فكان يعتمد على يديه في الاستناد على طرف السلم ليتجنب الضغط على قدمه المصابة.

وكنت أقول له: (أعطوني يدكم)، لأنه من الطبيعي لو أخذت بيده يكون الصعود أسهل عليه من أن يعتمد على طرفي السلم.

فكان يقول: (ما دمت أستطيع أن أصعد هكذا وأعتمد على نفسي لا أراحمك، فإذا لم أستطع أنت خذ بيدي)، وكان يصعد قليلاً ثم يناولني يده حيث يتعب ولا يستطيع المواصلة في الاعتماد على يديه في رفع الألم عن قدمه.

بهذه الدقة وبهذه الشدة كان يلاحظ أن لا يكلف أحداً حتى ابنه، على الرغم من علمه برغبتنا في خدمته، ولكن كان لا يحب أن يكلفنا حتى بهذا المقدار المتواضع.

لا تتلفوا أوقاتكم من أجلي..

ومن مواقفه الأخرى: إنه كان يقول لي ولأخوتي بمناسبات شتى ومواقف عديدة، عندما كنا نقترح عليه القيام بشيء من أموره: (لا تتلفوا أوقاتكم من أجلي).

ويعبر بكلمة (تلف!)، مع أننا من أعماق أنفسنا كنا نتقرب إلى الله سبحانه وتعالى في أي خدمة صغيرة أو كبيرة كنا نقوم بها بالنسبة إلى المرحوم الوالد، بغض النظر عن كونه كبير السن، ورجل دين عالم ومرجعاً لنا في أمور ديننا، بالغض عن كل هذه الأمور كنا نحب خدمته عاطفياً، ومع ذلك كان يعبر بهذا التعبير:

لا تتلفوا أوقاتكم من أجلي.. لا تتلف وقتك من أجلي..

الحلم وسعة القلب

وأذكر ذات مرة في أيام عاشوراء، ولعلها كانت الليلة التاسعة من المحرم الحرام حيث كان كل جزء من كربلاء المقدسة وكل قطعة من أرضها وجدرانها وفنائها ينبعث منها الحزن والأسى لفاجعة آل بيت سيدنا ومولانا الإمام الحسين (عليه السلام).

وكان الوالد في طريقه لأداء صلاة المغرب، وعند دخوله باب صحن الإمام الحسين (عليه السلام) والصحن تقريباً مزدحم بالزوار وأصحاب العزاء والقادمين لأداء فريضة الصلاة، وفي ذلك الزمان كان في مدينة كربلاء المقدسة عالماً يرى حرمة لبس السواد لمصاب الإمام الحسين (عليه السلام)، ويقصد بذلك حرمة لبس السواد مطلقاً حتى للإمام الحسين (عليه السلام)، ومع أن المرحوم الوالد كان هو المرجع العام في ذلك الوقت، مرجع التقليد العام لأهالي مدينة كربلاء، ومعظمهم ظاهراً كانوا يتبعونه في التقليد، فكان المرحوم الوالد مقيداً بلبس السواد للإمام الحسين (عليه السلام) خلال فترة شهري المحرم وصفر، وكان في ذلك الوقت أيضاً لابساً القباء الأسود، ومعه جماعة كنت أحدهم، فجاء شخص إلى المرحوم الوالد - لم نعرف قصده وهدفه والعلم عند الله - وتحدث معه بصوت عالٍ ووجه إليه هذا السؤال فقال له: سيّدنا هل يجوز لبس السواد للإمام الحسين (عليه السلام)؟.

وهو يرى أن المرحوم الوالد لابساً القباء الأسود، وعندها توجه إليه الوالد برفق ولطف كانا ينبعثان من عينيه ولسانه وأساير وجهه وقال له: نعم يجوز.

ولعل الرجل كان يريد الإشارة والاستفزاز فقال للمرحوم الوالد بصوت عالٍ: إن فلاناً - وذكر اسم ذلك العالم الذي كان يحرم لبس السواد مطلقاً وذكره بتجليل وتعظيم - يقول: لبس السواد حرام حتى للإمام الحسين (عليه السلام)؟!.

تأمل المرحوم الوالد هنيئة وردّ عليه مرة أخرى برفق ولطف وبشاشة وجه بقوله: أنا رأيت عالماً لم يكن أقلّ علماً ولا أقلّ تقوى من هذا العالم الذي ذكرته وكان يلبس السواد للإمام الحسين (عليه السلام). ولعله كان يقصد المرحوم أستاذة الميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمه الله) (١) الذي كان أستاذه وخاله، حتى

١- آية الله العظمى الشيخ محمد تقي بن محب علي الشيرازي، من مراجع التقليد العظام في العراق، تسلّم زمام المرجعية الدينية بعد وفاة أستاذه المجدد الشيرازي صاحب ثورة التتباك، له باع طويل في نشر علوم أهل البيت (عليهم السلام)، وله مواقف سياسية مشرقة، فقد أفتى ضد الاحتلال الإنجليزي للعراق (١٩١٤م)، وأرسل نجله الشيخ محمد رضا للإلتحاق بقوات المجاهدين، وقف بوجه الاستعمار الإنجليزي عندما أراد المعتمد السامي السير (بيرسی كوكس) أن ينصب نفسه رئيساً للعراق عبر انتخاب صوري، فأصدر الشيرازي فتوى بحرمة إنتخاب غير المسلم رئيساً للبلاد الإسلامية في ٢٠ ربيع الثاني من عام ١٣٣٧هـ، وخطط للقيام بثورة عارمة ضد الاستعمار الإنجليزي عام (١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م)، والتي عرفت بـ (الثورة الوطنية) أو (ثورة العشرين)، كما وقف ضد المعاهدة البريطانية الإيرانية عام (١٣٣٦هـ) وأدى موقفه إلى إغاثتها.

اتصف بذكاء خارق وتواضع عجيب ودمائة في الأخلاق، ولما سنل الشيخ محمد كاظم الشيرازي تلميذ الميرزا الشيرازي عن عدالة أستاذه أجاب: (اسئلوني عن عصمته)، اغتيل بالسم على يد عملاء الإنجليزي فاستشهد ليلة الأربعاء الثالث عشر من ذي الحجة الحرام سنة (١٣٣٨هـ = ١٩٢٠م/٨/١٧)، ودفن في حرم الإمام الحسين (عليه السلام). ترك عدة مؤلفات منها: حاشية على المكاسب، رسالة في صلاة الجمعة، ورسالة في الخلل.

أنه في الوقت نفسه ذكر ما يعتقده في هذه المسألة من الأدلة الشرعية، وأجاب عن ذلك السؤال وفي الوقت نفسه لم يتعرض لإهانة ذلك العالم الذي نقل عنه أنه يحرم السواد وإنما ذكر بهذا التعبير.

العفو عند المقدرة

ذات مرة أذكر عندما كنت صغيراً آتي الكتاب في ذلك الوقت؛ ولعل عمري كان دون سنّ العاشرة، طرق شخص باب دارنا وببيتنا المرحوم الوالد، فتوجه نحو الباب وتحدث مع ذلك الرجل، ولكني لم أكن معهما فلم اسمع ما دار بينهما من حديث، ولكن بصورة عامة يتضح من الأمر أن الرجل كان قد طلب من الوالد شيئاً ما وكان الوالد قد اعتذر منه.

وعندما دخل الوالد إلى المنزل وأغلق الباب، ارتفع صوت ذلك الرجل بالشتم والسباب والتجاوز بشكل ملفت للانتباه وقد أشرفت من نافذة الغرفة الكائنة في الدور العلوي حيث كانت تطل على الزقاق، فرأيت الرجل وأنا في ذلك العمر واقعاً، أحسست بخوف ورهبة من حدوث شيء ما والمرحوم داخل البيت والباب مغلق، وكان لنا جار في ذلك الوقت اسمه الحاج جواد (رحمه الله) كان رجلاً قوي البنية، ضخّم الهيكل، وإذا بي أراه يطل من شرفة داره ثم توجه إلى الرجل الذي كان يسب المرحوم الوالد بصوت عالٍ، ورآه واقفاً أمام بيتنا فقال: من تسب ومع من تتكلم؟!.

فذكر الرجل للحاج جواد أنه يسب الميرزا، فلم يطق سماع ذلك فوجه إليه كلاماً لاذعاً، فقال: الآن أعلمك، فخرج من بيته وانهزم الرجل وتبعه هذا الجار الحاج جواد (رحمه الله) الرجل يركض وجارنا يتبعه، وبعد دقائق جاء الحاج جواد وطرق الباب، ذهب المرحوم الوالد إلى الباب، وكنت أنا هناك قال للمرحوم الوالد: هذا الرجل أنا أخذته وسلمته لمخفر الشرطة وهو الآن هناك، ماذا تأمرن بالنسبة إليه؟. فقال الوالد له: أطلق سراحه!.

قال: سيدنا هذا الرجل يتناول عليكم ويسيء إليكم! كيف نتركه؟!، ولكني لا أنوي عمل ما لا يرضيك. المرحوم الوالد قال له: إذا كنت تريد رضاي اذهب وأطلق سراحه، في الوقت الذي كان الحاج جواد يصر بأن مثل هذا الرجل يجب أن يؤدّب ويكون عبرة لمن يعتبر.

والمرحوم الوالد كان أيضاً بدوره يصرّ بقوله: إذا كنت تريد رضاي اذهب وأطلق سراحه. فذهب الحاج جواد (رحمه الله) - وهو لا يرغب في هذا الأمر - وأطلق سراح الرجل بعد أن تنازل عن الحق في الدعوى، وقال للشرطة: أنا عفوت عن هذا الرجل، وأطلق سراحه. أستغفر الله وأتوب إليه.

عمق التحمل للمسؤولية

كان المرحوم ذات مرة في أوائل الصباح جالساً يطالع (الجواهر) وبعض الكتب العلمية الأخرى إعداداً

للمحاضرات الفقهية التي كان يلقيها على طلبة العلوم الدينية والعلماء والأفاضل، إذ دخل عليه أحد الأعلام وسلم عليه وقال: سيدنا لي سؤال، هذا السؤال وإن كان في نظركم تافهاً لكنه مهم عندي علماً وعملاً، واعتذر من إشغال وقتكم في هذا الزمان لمثل هذا السؤال.

فرحّب به السيد الوالد (قدس سره) وقال له: تفضل.

قال: سيدنا إذا حصل لكم العلم بأنكم بعد ساعة أو بعد ساعات تنتقلون إلى جوار ربكم ماذا تعملون خلال هذه الفترة القصيرة؟

فأجاب الوالد (رحمه الله) - على خلاف عادته من الإجابة بعد التأمل - بدون تأمل أو تردد، وكأنه قد أعد الجواب مسبقاً وعلى استعداد كامل لمثل هذا الموقف قائلاً: أعمل هذا العمل الذي أنا مشغول به الآن، فإن هذا هو واجبي وهذه وظيفتي.

لا للغيبة

نقل (رحمة الله عليه) لي أنه ذات مرة كان جالساً عند المرحوم آية الله العظمى السيد حسين القمي (قدس سره)، فدخل شخص على السيد القمي وأخذ يذكر له قضية يريد الاستفسار عن حكمها، والقضية كانت تتضمن ذكر ظلامته من قبل شخص آخر، وكأن الرجل السائل مظلوماً في تلك القضية، وكان يذكر قصته للسيد القمي حتى يعلم بالحكم الشرعي ويعرف تكليفه، وفي هذه الأثناء قام السيد الوالد (قدس سره) وذهب خارج الحجرة يشغل نفسه، وكأنه ذهب لقضاء حاجة أو لأمر معين، فلما أتم الرجل سرد قصيته رجع المرحوم الوالد إلى مكانه فسأله السيد القمي:

لماذا ذهبت؟!.

فقال له السيد الوالد: هذا الرجل كان يذكر قضية ليعرف حكمه وتكليفه الشرعي من خلال سرد تلك الحادثة، وبما أنها كانت تتضمن غيبة شخص واستماع الغيبة أمر محرم ومستمتع الغيبة أحد المغتابين.. (١)، أما بالنسبة لكم فباعتبار أن هناك تراحم يوجد أهمية توجه للاستماع باعتبار ذكر الحكم الشرعي حتى تتم معرفتكم موضوع القضية وتحكمون له، كما كان يجوز بالنسبة للقائل باعتبار أن القصة تتضمن ذكر ظلامته، فيكون من مستثنيات الغيبة ومستثنيات حكم الغيبة.. أما بالنسبة لي فلا أعتقد أن هناك استثناءً يجوز لي الاستماع، ولذا قمت وذهبت حتى لا أستمع ولا أسمع.

من جدّ.. وجد

أتذكر هذه القصة لعلها تعود إلى حدود خمسين سنة مضت من هذا التاريخ، وأعتقد في عام ألف وثلاثمائة

١- راجع مستدرک الوسائل: ج ٩ ص ١٢١ ب ١٣٢ ح ١٠٤٢٠ وفيه: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): (ما عمر مجلس بالغيبة إلا خرب من الدين، فنزها أسماعكم من استماع الغيبة فإن القائل والمستمع لها شريكان في الإثم).

وسبعين هجرية، أو ما يقارب ذلك، حيث كنت أنا في ذلك الوقت لا أزال أتعلم في الكتاتيب، أو لعلي تخرجت منها، وكان أوائل اشتغالي بمقدمات العلوم الدينية في العلوم العربية مثل جامع المقدمات، إذ دخل شيخ كبير السن لا زلت أذكره جيداً، ولكن لا أذكر اسمه من الأشخاص المحترمين، كان في شبابه من أصدقاء المرحوم الوالد ومن الذين قضوا سنوات معه يدرسون عند أستاذ واحد وعندهم مباحثات في الدروس العلمية، جاء وجلس عند المرحوم الوالد وربما أطل الجلوس، فلما أراد الذهاب كنت في وداعه عند باب الدار فتوجه إلي وقال لي:

أدرس جيداً الآن حتى تكون في المستقبل عالماً مثل أبيك ولا تكن مثلي، أنا مع أبيك بقيت سنوات؛ معاً ندرس.. معاً نباحث..، ولكن والدك دائم المطالعة، دائم المناقشة، دائم المباحثة، وكان يحاول أن لا نقول كلمة في الدرس لا يعرفها إلا ويسأل عنها أو في المباحثة يطرحها.. يذكرها.. يكررها، ولكني كنت أحضر الدرس وأحضر المباحثة ولا أهتم اهتماماً جيداً مناسباً يتناسب مع أهمية الدرس، وكنت أنتظر أيام العطلة مثل يوم الخميس ويوم الجمعة بفارغ الصبر حتى أذهب مع بعض الأصدقاء إلى أطراف مدينة سامراء للتنزه والاستراحة، فأني أسبوع وأني مرة أردنا أن نذهب كنت أقول لوالدك: غداً نذهب إلى المكان الفلاني ألا تأتي معنا؟ فكان يعتذر دائماً.. إما يقول: عندي مطالعة دروس الأسبوع الماضي، أو يقول: عندي كتابة، أو يقدم عذراً آخر، ولم يخرج معنا ولا حتى مرة واحدة، وكان يبقى في سامراء مشغولاً بالمطالعة والكتابة..، وذات مرة انزعجت منه جداً وقلت له بحدة: الآن أنت لا تخرج معنا، استمر في مطالعة دروسك حتى أرى ماذا ستكون؟!.. ثم أردف الرجل قائلاً لي - بانكسار ظاهر على وجهه -: النتيجة أنه أصبح مرجع تقليد يعطي راتباً شهرياً لطلاب العلوم الدينية وأنا أضطر وأحتاج إلى أن آخذ منه الراتب الشهري، وحقيقة الحال أنا كنت زميله في الدراسة.

من نصائحه في طلب العلم

وفي هذا المجال أتذكر أن المرحوم الوالد (قدس سره) كان مراراً وتكراراً يوصينا ويوصيني.. وكثيراً ما يردد قوله:

لا تعتذروا بشيء لترك الدرس، وإنما اعتذروا بالدرس بترك أي شيء آخر، فإذا صارت مزاحمة بين وقت الدرس وضيافة، قدموا الدرس على الضيافة، وإذا صارت مزاحمة بين وقت الدرس وبعض العبادات المستحبة قدموا الدرس، إعتذروا لترك الحضور بسبب الدراسة، بسبب المطالعة، فأني شيء زاحم الدرس أو المطالعة اتركوا ذلك الشيء.

وإذا وجه إليكم سؤال اعتذروا لتركه إذا كان وقت الدرس، كأن تقول: عندي مطالعة، وأمثال ذلك.. ولا تعكسوا الأمر فتركوا الدرس لضيافة، أو لعمل مستحب آخر، وتعتذرون للأستاذ أو الطلبة بقولكم: لم أحضر الدرس.. لم أحضر المباحثة.. لأنني كنت ضيفاً أو كان عندي ضيف.. وما إلى ذلك.

تعوّد قيام السحر منذ الصغر

من عاداته المحمودة أنه (رحمة الله عليه) كان ملتزماً بقيام السحر ولا أتذكر أنه ترك قيام السحر في يومٍ ما، لأنه منذ السنين الأولى لعمره الشريف ربّته والدته تقياً (رضوان الله عليهما) - كما كان يحدث عنها - معتاداً على قيام السحر حينما كانت تنهض لصلاة الليل، وعندما تريد أن تبدأ بصلاة الليل كانت تنادي المرحوم الوالد وهو يوم ذاك صغير السن ولعله في السن الثالثة أو الرابعة أو الخامسة، وتعطيه بعض الحمص وتقول له: اجلس وانظر إليّ وكلّ هذه الحمصات واحدة واحدة، فإذا انتهت حمصة كل الثانية على التوالي ولا تأكلها مرة واحدة.

وذلك كي تمرّنه على أن لا يكون في هذه الفترة نائماً، وفي نفس الوقت لنلا تجبر طفلها على ذلك، وإنما كانت تعد له بعض الحمص ليكون جلوس هذا الطفل عن رغبة وشوق منذ ذلك الحين، وربّي على ذلك.. كان ينهض قبل أذان الصبح، حتى إنني أتذكر دائماً في أواخر عمره عندما كان شديد المرض مبتلى أحياناً، حين تمنعه الآلام والأوجاع من النوم في الليل حتى اقترب الصباح، كان يعاني من الألم ولا ينام، فإذا اقترب موعد أذان الصبح بمقدار الساعة أو أكثر أو أقل وإذا من كثرة الإرهاق بشدة التعب والإعياء كان يغفو قليلاً وقبل أذان الصبح يجلس من النوم، وكأنه قد نام ساعاتٍ، لأنه قد تعوّد القيام في مثل هذا الوقت.. فكان عند مرضه لا ينام، وكانت بركات قيام الليل ظاهرة على أقواله وأفعاله وتاريخه.

هذا بعض ما استحضرتُه الآن مما يرتبط في بعض المزايا والصفات الأخلاقية والدينية للمرحوم الوالد. أسأل الله له ولوالدتي ولجميع المؤمنين والمؤمنات الرحمة والرضوان واستغفر الله لي ولكم وللمؤمنين. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

نقاط مضيئة عن رجل وضاء

بقلم أبو مصطفى الحسيني

كان المرحوم المقدس آية الله العظمى الحاج السيد ميرزا مهدي الحسيني الشيرازي (عليه السلام): تقياً، ورعاً، عابداً، زاهداً، متواضعاً، شاعراً، كثير المحفوظات، جيد الخط... من صفات تقدم في كل واحدة منها، مما لا تتوفر في الآخرين غالباً - بتلك النوعية - منفردة فكيف بها وهي مجتمعة فيه، ولكن التركيز - هنا - على الصفات الأكثر نضارة وتألقاً.

* * * * *

كان (عليه السلام) يحب أن يلي أعماله الشخصية بنفسه قدر الإمكان، مع اعتزاز أولاده - الذكور والإناث - بخدمته عن إخلاص.

وحتى (شاي العصر) لم يكن يطلبه من أحد المتواجدين بقربه: فإن قدم له فبه ونعم والشكر لله تعالى، وإن

نسي فلينس والحمد لله رب العالمين.

ذلك: إن منع مزاوله الآخرين لأعمالهم اليومية يحتاج - حسب رأيه - إلى عامل يندر وجوده في حياته المعيشية.

* * * * *

كان (عليه السلام) يبغض النوم فيقاومه، ومرت عليه فترة لم ينم فيها يوماً أكثر من ساعتين، وكان ينصح من يراه ينام كثيراً - حسب رأيه - : أخر النوم إلى القبر، فسوف تنام هناك طويلاً.. طويلاً.. إلى أن تهترء أضلاعك من كثرة النوم.

* * * * *

كان (عليه السلام) (حافظاً) للقرآن الكريم عن ظهر القلب. وكان (تالياً) للقرآن الكريم - بين الطلوعين - بصوت موح: يسمعه جميع من في الدار، وطائفة من الجيران والمارة.

و (حفظ القرآن الكريم) يشتمل على فوائد عديدة ومهمة:
* التأمل في كلام رب العالمين حتى في الأوقات الاستثنائية التي لا يتمكن الإنسان فيها من النظر في المصحف الشريف.

* الانغمار في الإيحاء الإلهي عند الحاجة من دون تجشم عناء البحث عن الآية الكريمة التي تنطبق على الوضع الحادث وتحمل إلى الإنسان الحل المناسب.
* مساعدة الكاتب والخطيب والمحاضر ونحوهم في اختيار آيات كريمة داعمة لمواد الكتابة والمنبر والمحاضرة ونحوها.

* التشرف بالتلاوة في الفرص المتاحة التي لا يحمل الإنسان فيها المصحف الشريف أو لا يجد سبيلاً لفتحه.
* الاستشهاد بالآيات الكريمة عند الحوار أو إسداء النصائح أو الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر وما أشبهه.

* التوصل إلى الثواب الجزيل المعد لحافظ القرآن الكريم، الذي بشرت به النصوص الدينية والذي وضع فيه العلامة النوري - صاحب موسوعة (مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل) - كتاباً مستقلاً.. (١)
و (تلاوة القرآن الكريم) - بين الطلوعين - بصوت موح: تلقين ذاتي يفتقر إليه - في من يفتقر - المرجع الديني الذي يعيش عصور الانحطاط حتى يخلق في أجواء المسلمين الرواد في عصور المعصومين الأربعة عشر (عليهم السلام)، ونشر أجواء إلهية معنوية في أزمنة طغيان الأجواء الإلحادية المادية.

* * * * *

كان (عليه السلام) (مربياً) لأتجاله: كي يواكبوه في المسيرة الإسلامية أيام حياته، وحتى يواصلوا الدرب بعد وفاته، ونجح في الهدف الأول نجاحاً باهراً، ونجح في الهدف الثاني نجاحاً عظيماً، والعشرات من البلاد شواهد، والمنات من المشاريع أدلة، والآلاف من الناس ألسنة، والملايين من الصفحات مضابط...

١- عن كتاب النوري.

وتفصيل القول - في هذه النقطة بالذات - يحمل (سلبيات) غير مقصودة أتوماتيكياً، لا داعي للإقتراب منها من قبل من لا يؤمن إلا بـ (الإيجابيات) المقصودة من قرارة القلب.

* * * * *

كان (عليه السلام) (حسن الأخلاق) في كل زمان، وفي كل مكان، وبالنسبة إلى كل أحد، وبالنسبة إلى كل شيء.

وكان العديد من المقربين إليه يرجونه التخفيف منه كي لا يعتدى عليه، وكان يرفض ذلك بحسن أخلاق يدعوهم إلى تكرار الرجاء.

* * * * *

كان (عليه السلام) يحافظ على (ماء وجه) الآخرين أكثر مما يحافظ على (أعز الأشياء) لديه: سرق أحد تأليفه - وكان مقلداً مجيداً في التأليف - من قبل أحد زملائه، فاحترقت أعصابه في داخله ولم تحترق كلماته في وجه الزميل وحتى لم تلتهب شكاته في المنتديات، وسرق أحد تأليفه - وكان مجيداً في التأليف - من قبل أحد تلاميذه أيضاً، فاحترقت أعصابه في داخله ولم تحترق كلماته في وجه التلميذ وحتى لم تلتهب شكاته في المنتديات كذلك.

دع عنك مسروقات (مكتبته الخاصة) - في زمن ندرة الكتب - من قبل بعض زملائه وتلاميذه. وفيها بعض (الدورات) المهمة كـ (الوافي) (١) في الحديث الشريف.

* * * * *

كان (عليه السلام) ذا همة قعساء في تسلق مدارج التقوى والورع منذ أيام شبابه فكيف بسنوات النضج فمرحلة الشيخوخة.

وقد عثر - بعد وفاته - على (قصاصات ذاتية) يحذر فيها نفسه من أن يفتح عينيه يوم القيامة فيرى أن قائد (ثورة العشرين) آية الله العظمى الشيخ محمد نقي الشيرازي (عليه السلام) يتقدمه في (ركب المتقين الورعين)، مع أن الشيخ كان آية في التقوى والورع إلى درجة أن البعض كان يميل إلى الاعتقاد بأنه (صاحب العصمة الصغرى).

* * * * *

كان (عليه السلام) مع علمه الغزير.. الغزير.. يتجه نحو (المعنويات) حتى تتصوره (عابداً جاهلاً) يتهرب من (ميادين العلم) ليلتجئ إلى ساحات (العبادة الجاهلة).

فكان ينجذب - عند سنوح حتى أدنى فرصة خلال أعماله اليومية - إلى: تلاوة القرآن الكريم، الذكر، الدعاء، الزيارة..

ولم يكن هذا من ذاك، بل كان (جهاداً أكبر) في ممارسة تمزيق (حجاب العلم) الذي هو آفة أفات العلماء الربانيين.

وكان لأجل ذلك - عند ذكر أو تذكر صور من العلماء المعتدين بعلمهم - يهدر غاضباً تارة، وينفجر ضاحكاً

١- عن كتاب الوافي.

أخرى، ويبكي أسفاً ثالثة...

وذات مرة رأيت دموعه تتحدر على خديه فكريمته البيضاء وهو يتذكر الكلام البشع لأحد العلماء المعتدين بعلمهم في مقام المقارنة بين علمه وعلم العباس (عليه السلام) قائلاً: كيف تقارن علمك الظني في أحسن الفروض بعلم العباس الذي تربى وترعرع في حجر وكنف أمير المؤمنين والسبط الأكبر وسيد الشهداء بالإضافة إلى زمالته مع زين العابدين وعلي الأكبر والسيدة زينب صلوات الله عليهم أجمعين؟!.

* * * * *

كان (عليه السلام) غريباً في فرز (الأهم) عن (المهم)، وفي تحمّل ضغوط (المهم) الذي ينام في عظامه لصالح (الأهم) الذي تفرضه الظروف المرجعية عليه:

نقل أحد أنجاله آية الله السيد محمد صادق الشيرازي - حفظه الله تعالى - ما يلي:

((كان والدي - قدس سره - متيقظاً في ساعات السحر مشغولاً بالمطالعة، وكنت - ربما - أستيقظ للقيام بصلاة الليل. ولم أره - بالرغم من معنويته الفائقة - يقوم بصلاة الليل. وبعد التأرجح بين الإقدام والإحجام، تجرأت - ذات مرة - فاعترضت عليه متسائلاً: لماذا لا تقومون بصلاة الليل؟! فأجاب - برفق وتواضع -: التكليف الشرعي بالنسبة الى من يتصدى للمرجعية هو أن يحمل الأجوبة الصحيحة لأسئلة المقلّدين فوراً فلا يحيلهم الى غد وبعد غد، لا القيام بصلاة الليل)).

وإذا عرفنا أنه كان - أيام إقامته بمدينة (سامراء المقدسة) كطالب من طلاب الحوزة العلمية بزعامه قائد (ثورة العشرين) - يدخل (السرداب المقدس) في كل يوم من أيام شهر رمضان المبارك ولا يخرج منه إلا بعد الفراغ من تلاوة (ختمة) للقرآن الكريم في جلسة واحدة، نعرف مدى ما كان يعانيه من شدة ضغوط (المهم) على أعصابه.

* * * * *

كان (عليه السلام) يرى الكفران ويصبر، ويرى التخاذل ويصبر، ويرى الخيانة ويصبر... وكان يقدر - في إمكاناته - أن يستخدم الدنيا في سبيل ذاته فلا يرى الكفران والتخاذل والخيانة... ولكن: هيهات.. ثم هيهات.. كان كثيراً ما يردد - بصدد التعامل الدنيوي المطلوب منه بإصرار وبغناد شديدين -: لا تجعلوا عنقي جسراً - يوم القيامة - في سبيل مآربكم الشخصية.

* * * * *

كان (عليه السلام) يسير وراء (دينه) ولا يسير وراء (دنياه)، فالاعتبارات الدينية عنده مقبولة والاعتبارات الدنيوية عنده مرفوضة:

كان زميلاً لآية الله العظمى السيد حسين القمي (عليه السلام) في درس الشيخ محمد تقي الشيرازي، وكان يعتقد به دينياً. ورأى - عندما أصبح مرجعاً دينياً - وجوب تأييده فأيده. ضارباً بالاعتبارات الدنيوية المتنوعة والضاغطة عرض الجدار وإليك نموذجاً واحداً:

كان السيد حسين القمي يعاني من آلام في الرجلين مما يجعله يركب (الحمار) في تنقلاته، وكان صاحب الترجمة - ربما - يواكبه سائراً وهو راكب، وعندما يعترض بعض المقربين إليه في ذلك لا يكثرث به قائلاً: إنني أعتقد بالسيد دينياً، وأرى وجوب تأييده مرجعياً. مع أنه كان يتمكن من أن يختار لنفسه طريقاً آخر يأخذه إلى

المقصد، من دون أن يساير السيد بتلك الحالة.

إنه المؤمن، يتمسك بالاعتبارات الدينية حتى على حساب الاعتبارات الدنيوية.

* * * * *

كان (عليه السلام) يبكي: عندما يسمع وحتى عندما يتذكر أحد مواقف الآخرة، وعندما يسمع وحتى عندما يتذكر إحدى مفردات مصائب أهل البيت (عليهم السلام)، وعندما يسمع وحتى عندما يتذكر ما يجري على الإسلام وعلى المسلمين. ولكنه لم يكن يبكي حينما تعصره الظروف: قساوة قسرية تارة، وزهداً اختيارياً أخرى.

* * * * *

كان (عليه السلام) من المصاديق البارزة للحديث النبوي الشريف:

((قال عيسى بن مريم للحواريين: تحببوا إلى الله، وتقرّبوا إليه.

قالوا: يا روح الله! بماذا نتحبّب إلى الله، ونتقرّب؟؟.

قال: ببغض أهل المعاصي، والتمسوا رضى الله بسخطهم.

قالوا: يا روح الله! فمن نجالس إذن؟.

قال: من يذكرّكم الله رؤيته، ويزيد في عملكم منطقة، ويرغبكم في الآخرة عمله)) (١).

ولا يزال بعض من رأوه - حتى بعد مضي أربعين عاماً على وفاته - متميزين على بعض من لم يره في: تذكر

الله تعالى، والعمل الصالح، والرغبة في الآخرة. وذلك: من جرّاء رؤيته ومنطقه وعمله.

* * * * *

كان (عليه السلام) مع الناس ولم يكن معهم في نفس الوقت.

وكان هذا.. شعور من يلتقي به من مختلف نماذج الناس: قريب منه ولكنه غريب عنه، قريب إلى حد القرابة

وغريب إلى حد الغرابة.

فهل هذا.. يفسّر سرّ تشرفه بلقاء الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) - ونحن معه - أم تشرفه بلقاء الإمام

يفسّر سرّ هذا..؟ لا أدري، وإن كان التأمل في كثير من (التشريفات) يقودنا إلى الاعتقاد بأن: هذا.. مقدمة طبيعية

للتشرف، والتشرف عامل استمرار وتعميق وصفاء لهذا.. والعلم عند الله تبارك وتعالى.

* * * * *

كان (عليه السلام) (صاحب كرامات) على ذمة روايات العديد من المتصلين به، من أمثال: طي الأرض بين

النجف وكربلاء المقدستين في إحدى مناسبات الزيارات المخصوصة لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وتلقي

رسالة شفوية من الإمام الكاظم (عليه السلام) قبيل وفاته...

ولم تكن (الكرامات) بعيدة عن صاحب سيرة وضاعة متلأأة، جعلت البعض يعتقد في بعض الحالات أنه الإمام

المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) - ونحن معه - مما جعله ينتفض مغضباً من هذه الجرأة العظيمة مبيناً له: إنني

محمد مهدي، بن السيد حبيب الله الشيرازي، أخ السيد عبد الله والسيد جعفر، أخو حرم السيد عبد الهادي

الشيرازي وحرم السيد علي النوري، والسيد المجدّد الشيرازي عم والدي، والشّيخ محمد تقي الشيرازي من

أخوالي...

* * * * *

كان (عليه السلام) من خيرة تلامذة الشيخ محمد تقي الشيرازي المعروفين بشدة التقوى وعمق العلم وعظم الجهاد، وكان الشيخ خيرة تلامذة قائد (ثورة التنباك) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي (المجدد) (عليه السلام) المعروفين - كذلك - بشدة التقوى وعمق العلم وعظم الجهاد، وكان المجدد مضرب المثل: في التقوى إلى حد الكرامة، وفي العلم إلى حد نسبة أفكار آية الله العظمى الشيخ مرتضى الأنصاري (عليه السلام) إليه (١)، وفي الجهاد إلى حد قيادة (ثورة التنباك)... ومع ذلك كله: لم يكن - يوماً من الأيام - يتحدث عن تقواه أو علمه أو جهاده... حتى إلى أقرب المقربين إليه.

* * * * *

كان (عليه السلام) يقيم صلاة الجماعة ثلاث مرات يومياً - الفجر والظهر والمغرب - حسب المواصفات التالية:

- * إقامة الصلاة في أول وقتها دائماً.
- * عدم التخلف عن إقامة حتى صلاة واحدة، في جميع الفصول الأربعة، وفي كافة أوضاع (كربلاء المقدسة) الاجتماعية والسياسية ونحوهما، وفي مختلف الحالات الشخصية...
- * مزاولة طائفة من (المهام المرجعية): ذهاباً، وإياباً، وبعد إقامة الصلاة إلى الفراغ عن النفر الأخير من المراجعين.
- * التطويل، كي يذوق المأمومون بعض طعم الصلاة. وحيث أن صلوات الجماعة كانت كثيرة آنذاك، فلم يكن التطويل مخالفاً لأدب صلاة الجماعة: ((صلّ صلاة أضعفهم)) - كما ورد في الحديث الشريف - لأن (الأضعف) كان يتمكن من أن ينخرط في أكثر من (صلاة جماعة سريعة).
- * الخشوع العميق الذي يجعل من يسمع صوته من المأمومين يحلق في أجواء معنوية رائعة الجمال.

* * * * *

كان (عليه السلام) يتقدم (موكب عزاء رجال الدين) ليلة عاشوراء عبر مسيرته الطويلة - من المدرسة الهندية إلى المخيم، ثم إلى الصحن العباسي الشريف، ثم إلى الصحن الحسيني الشريف، ثم إلى المدرسة الهندية كذلك - بدموع غزيرة مستمرة، ولم يكن يتخلف عن الإشتراك في سنوات الشيخوخة وحتى في فترات النقاهة.

* * * * *

كان (عليه السلام) يقيم (عزاء أهل البيت (عليهم السلام)) بداره يومياً بعد طلوع الشمس وقبل بدء دوامه، وكان هو (الناعي) بنفسه مع صوت متهدج ودمع جار، وكان يشعر بالخيبة عند حدوث ما يمنعه عن ممارسة هوايته المفضلة: نوبة مرض، زيارة مفاجئة خارج البرنامج...

١- راجع كتاب (السيف المنتضى في قتل المرتضى) مخطوط. من كتب خزانة آية الله الشيخ كاظم التبريزي رضوان الله تعالى عليه.

بسمه تعالى

ذكریات مع جدِّي السيد هادي المدرسي

كان عمري في حدود السابعة، وكان عمر جدِّي قرابة السبعين، وكان يتعامل معي، ومع أقراني، وكأئنا رجال كبار.. فإذا دخلت مجلساً، كان - رحمه الله - يقف لي إجلالاً واحتراماً..
وكان لا يخاطبني كطفل، وإنما كشخص كبير، ولا أتذكر أنه خاطبني بصيغة المفرد ولا مرة واحدة..

* * * * *

عندما كنت أدرس في (الكتاب) وأنا في مقتبل عمري، كنت أذهب إلى بيت الجدّ (رحمه الله) بعد خروجي من (الكتاب) وأطرق عليه الباب.. وكما أتذكر ففي الأغلب كان هو الذي يفتح لي الباب، ثم يقودني إلى غرفته التي يطالع فيها ويكتب، ويأخذ بالسؤال عني، وعن دراستي، وكان ما دمت عنده مهتماً بي، ثم عندما أريد الذهاب كان يناولني مبلغاً من المال، وعلى الأغلب كان (أربعة فلوس) الذي كان يكفي لشراء بعض الحلويات.
كان ذلك يحدث في كل يوم تقريباً.

وكنت أحسّ بلذة كبيرة في ذلك، فقد كنت أحصل منه (رحمه الله) على الاحترام، والتسلي، والمال..

* * * * *

سافرت مع شقيقي الأكبر إلى إيران، وكنت في حدود الثانية عشرة من عمري، وفي زيارتنا لمدينة (قم) ذهبنا إلى مسجد المرحوم آية الله السيد البروجردي، وصلينا خلفه صلاة المغرب والعشاء، ولما علم بوجودنا في الصلاة دعانا إليه، واحترمنا كثيراً، باعتبارنا من أحفاد السيد الجد - رحمه الله - وأصرّ على ضيافتنا في اليوم التالي، لكننا اعتذرنا عن ذلك، لأننا كنا على وشك السفر صباح اليوم التالي..
ولما عدنا إلى كربلاء، وفي أول لقاء بيننا وبين المرحوم جدي كان أول سؤال طرحه علينا: هل زرتم السيد البروجردي.

كان هاجسه، أن يبقى بعد وفاة السيد البروجردي هرباً من مسؤولية المرجعية العليا..

ولقد مات قبل موت البروجردي (١) بأربعين يوماً فقط.

* * * * *

نقلت لي خالتي الصغيرة - رحمها الله - ليلة وفاة السيد الجد، وكان جثمانه لا يزال مسجى على الأرض في

١- عن البروجردي.

صحن الدار:

أنها رآته ليلة الخامس عشر من شعبان يدعو الله كثيراً، ويطلب منه تعالى حسن العاقبة، والسلامة في الدين والدنيا.. فتقول قلت له: يا أبت هلا دعوت أيضاً لطول العمر؟
فرفض ذلك وقال: (يكفيني هذا العمر، فإذا كانت أعمالي صالحة فلنذهب لاستلام جوائزنا، وإن لم تكن صالحة فلماذا أزيد في عقابي).
وكانت وفاته بعد تلك الليلة بثلاثة عشر يوماً فقط (١).

١- أي كانت وفاته في ليلة الثامن والعشرين من شهر شعبان عام ١٣٨٠ هـ.